رؤية : أيمن جبر

فيروس الدروشة



فيروس الدروشة

الطبعة الأولى – عن النخبة للطباعة والنشر والتوزيع

Elnokhbapublish.com

1441 هـ – 2020 م

رقم الإيداع: ** / 2020

الترقيم الدولي: ** – ** – 838 – 977 – 978

الكتاب: فيروس الدروشة

المؤلف: أيمن جبر

تدقيق لغوى: إلهام عفيفي

لوحة الغلاف: إبراهيم الأعرج

النخبة للنشر والطباعة والتوزيع

6 شارع رجاء عبدالرسول، المتفرع من شارع وادى النيل

أمام سور نادى الزمالك– الجيزة – مصر – 01288688875

E-mail: alnokhoba@gmail.com

طبع في مصر

فيروس الدروشة

كتاب يساعدك على الانطلاق في رحلة الوعي... رحلة الحياة الحقيقية

رؤية

أيمن جبــر



2020

مقدمة

الوعي هو قائد رحلة الإنسان في الحياة.

أغلب الناس ينكشف غطاء وعيه، فيمتلئ مبكراً بما يتصادف أن يسقط فيه، ثم يسير بقية رحلة الحياة دون أن يضيف لوعيه الممتلئ ولا يطرح إلا القليل والصغير.

والنادر من الناس من يفتش ويختبر ويطور وعيه في عملية لا تنتهي إلا بانتهاء الحياة؛ وهؤلاء فقط هم الذين يستحقون لقب الأحياء.

هناك دومًا ميكروبات تتخلل الوعي وتحاول اختراقه، فإن نَجَحت فإنها تَحتل مكاناً في الوعي، وإن واجهت مقاومة وهزيمة زادت مساحة الوعي في الإنسان.

فالوعي هو تكسير البرمجيات الدينية والاجتماعية والفكرية والنفسية والجسدية... إلخ.

والبرمجة هي فيروس الدروشة الذي يتخلل وعينا؛ برمجة على فكرة أو عادة أو نفسية أو سلوك أو قناعة.

ظل معلمي يقولها لي دوماً:

«يا واد ما تبقاش درويش»

عندما أتكلم بلا منطق أو عندما يأخذني حماس أو عاطفة بلا أساس، والإنسان عرضة للدروشة مهما كان فكره أو انتماؤه «سني، شيعي، مسيحي، ليبرالي، ماركسي، يساري، علماني، وجودي».. وحتى الملحد الذي يتسلح بالثقافة المتعالية، كثيراً ما يقع تحت سيطرة هذا الفيروس، فهو فيروس إنساني يعمل على:

العاطفة، الميول، البيئة، النفسية، الانطباع المسبق، الانحياز العقائدي... إلخ.

وكلها ثغرات تنفذ إلى المنطق فيختل..

وفي هذا الكتاب أحاول أن أستعرض معكم بعض الأفكار التي تثير الوعي وتكشف الدروشة.

أتمنى أن يمد هذا الكتاب القارئ ببعض الأفكار التي تساعده على الانطلاق في رحلة الوعي.. التي هي رحلة الحياة الحقيقية.

1. الإنسان بين الفأر والصرصار

من تناقضات الإنسان أنه يَستغرق جُهده في عَظائم الأمور، ويَستهين بنداءات الشهوات الخفية والتي قد يكون فيها حتفه.

أتذكر شخصية سوبرمان الأسطورية، التي كنت أقرأها في طفولتي، ذلك الإنسان الخارق الذي يُغذي خَيال الطفل الأمريكي وبقية أطفال العالم، البطل الذي لا تؤثر فيه القنابل ولا الرصاص ولا النار... «إنسان كوكب كريبتون»؛ نقطة ضعفه الوحيدة صخرة خضراء تطلق إشعاعات بمجرد أن تخترق جَسده تتلاشى قواه تدريجياً ويقترب من الموت.

أَعرف زوجاً عندما يتسرب إلى بيته فأر؛ يترك زوجته تتصدر له بالمقشة ويُغلق عليهما الباب، ويظل في الخارج ترتعد فرائصه، بينما تتولى الزوجة صيد الفأر، وفي مقابل هذا حين يَكون المُقتحم صرصار بشوارب؛ تَقفز زوجته في فَزع وذُعر شديدين؛ فيضحك من جُبنها ثم يمشي على مَهل، ويتصدر بنفسه للصرصار بشجاعة نادرة؛ حتى يقضي عليه بشبشبه المدرع.

هناك ظاهرة تستحق الدراسة في علم النفس؛ «أن تأثير الشهوات فينا يتفاوت»، وتبعا لذلك تتفاوت ثغرات الناس في اتساعها وعمقها ونوعها... فمن الناس من يواجه أقصى المخاطر بفداء ونُبل نادر، ويدافع عن الحق والعدل، ويُعَرّض حياته وحريته للخطر بلا تردد وبإصرار متكرر... ثم تكون المفاجأة أن بعضهم يَنهار بسهولة أمام شَهوة تافهة... ربما يستهين بخَطرها عامة الناس!

قاد «عمر مكرم» والسادات ومشايخ الأزهر المقاومة ضد الفرنسيين حتى تم جلاؤهم عن مصر، ثم فرض الشعب بقيادة «عمر مكرم» على الخلافة العثمانية أن تُصدر مرسوماً بتعيين «محمد على» حاكما على مصر، وأثناء انشغال «محمد على» بمحاربة المماليك في الصعيد، جاءت حملة فريزر عام 1807م، فقام «عمر مكرم» بالتنسيق مع حاكم رشيد «علي بك السلانكي» بدحر الإنجليز عن مصر في بطولة يسجلها التاريخ لأهل رشيد، ففرت حملة فريزر إلى الإسكندرية بعد قتل وأسر غالب جنود الحملة...

وهكذا قَدِمَ «محمد علي» بقواته إلى رشيد ليستلم النصر على طبق من فضة، وتفاوض مع الجنرال «فريزر» على الانسحاب، وبهذا أحبط أهالي رشيد المشروع البريطاني لاحتلال مصر، فأصبح يوم

19 سبتمبر عيدًا قوميًا لمحافظة البحيرة... وبعدها تخلص «محمد على» من المماليك في مذبحته الشهيرة.

وهكذا.. حان دور التخلص من «عمر مكرم» زعيم الشعب، فقام «محمد على» باستغلال ما بين الأزهريين من حساسية وغِيرة وتنافس خفي – فبعض المشايخ كان يطمع في نيل مكانة «عمر مكرم»– ولم يُقصّر الشيخ السادات وزملاءه، فأطاعوا «محمد علي» وأصدروا في مجلسهم قراراً بعزل ونفي «عمر مكرم»، ليحتل «السادات» مكانه، ولكنه لم يستطع ملء ذلك الفراغ الذي تركه، والذي كان كبيراً عليه وعلى بقية المشايخ.

وبذلك تخلص «محمد على» من قادة الأزهر الذين هزموا الفرنسيين والبريطانيين وأجبروا الخلافة على تعيينه، فتلاشت مكانة الأزهر في مصر بلا عودة... وانفرد محمد على بالسلطة.

في تلك اللقطة التاريخية، نلاحظ أن الشيخ السادات والأزهريين وقفوا أمام الحملة بصدورهم العارية، وخاطروا بأرواحهم وتصدروا المصريين في الجهاد... ولكن في ميدان آخر – ميدان الجهاد الأكبر – جهاد النفس وأطماعها، جهاد باطن الإثم، جاءهم صرصار الغيرة والتنافس فلم يستطيعوا مقاومته، فسحقهم وسحق بهم كفاح الشعب المصري.. وتفردت أسرة «محمد علي» بمصير مصر وشعبها لقرن ونصف.

في الأحزاب والجماعات وحركات المقاومة وعلى مدى تاريخ الشعوب نجد شخصيات تتصدر المشهد بفدائية وببسالة أسطورية، وقد يستغرق الكفاح سنوات طويلة وتضحيات سامية ونادرة.. ثم نمتلئ دهشة وذهولا؛ عندما نشاهد بعض تلك الشخصيات تنهار أمام «تنافس على الزعامة، رغبة العلو، المال، النساء، أو رغبات مكبوتة انفلتت».. نجدهم وقد هزمتهم وأذلتهم تلك «الصراصير» التي تُسحق تحت الأقدام.. تلك الصراصير صائدة الأبطال ومُبطلة ثِمار ملاحم الجهاد **للشعوب**..

انشغلنا بالظاهر وتركنا الباطن يسرح فينا وينمو ونحن عنه غافلون.



2 . اللقاء الثاني

عليك أن تحيا بفكرك ووعيك «الآن وهنا»، إن عشت في الماضي أو في المستقبل، إن عشت في مكان غير الذي تطأه الآن قدماك، فأنت مثل غالب الناس، تحيا شبه حياة.

شاهدت في التسعينيات سلسلة حلقات تليفزيونية، بطولة «محمود يس وبوسي» بعنوان اللقاء الثاني، أذكر منها حلقة لم تُمحَ من الذاكرة... شاب شاعر ورومانسي، يُحب فتاة جميلة ثم يَخطبها، وتَمنعه المسؤولية تِجاه أخواته البنات من إتمام الزواج، فيَفترق عن خطيبته، ويَظل عشرين عاماً بلا زواج، وهي لا تُغادر خياله أبداً، فظل يُحبها بشاعرية وخَيال رقيق؛ كحب قيس بن الملوح لليلى العامرية.

يموت زوجها، فيسرع سعيداً بالزواج منها، وهو يأمل أن يَستعيد ويُعوض ما فاته من عشرين سنة، فتزوجها وهي في خياله من الملائكة وبأجنحة تُحلق فوق السحاب.

يبدأ معايشة حِلمه وقد هبط به على الأرض.. تُكلمه حبيبته عن (الكَالو) في كَعب قدمها نتيجة ضِيق الحِذاء، فيَتجمد في

مكانه مندهشا!.. ثم تُعزَف نَغمة موسيقية هابِطة، دلالة على هُبوط الرومانسية درجة...

تُكلمه عن دواء الحُمُوضَة الذي لا تَسغنى عنه، فتُعزَف نَغمة موسيقية هابطة أُخرَى... يُكلم حبيبته عن القمر والنجوم، فتُكلمه عن كِسوة الشتاء... وتتوالى النغمات الموسيقية الهابطة، فيَثور، فتقول له:

هل سنستدفئ بالقمر والنجوم في الشتاء؟

تَجلس على مائدة الطعام، يَتذكرها في فترة الخطوبة... يِتخيل فَمَها الذي كان لا يَتسع لبُندُقَة، كانت تأكل مضطرة كي تشارك متواضعة البشر في عاداتهم، فالملائكة لا يأكلون.. يتذكر هذا ثم ينظر اليوم إليها أمامه على المائدة، وقد خَشِيَ على نفسه أن تلتَهمه بعظمه.. يا إلهي، أين ملاكي؟.

هذا هو اللقاء الثاني، نعيش عمرنا كله نتحسر على فوات اللقاء الأول... اللقاء الذي لم يُنعم علينا القدر بتمامه، ولا ندري أنه إن دار الزمان وأبدَع الفرصة لإتمامه؛ سوف نصطَدم بمتغيرات جَدّت، جعلت من كل منا شخصاً آخر غير الذي فاتنا لقاءه، فكما أن لكل زمان صبغة؛ فإن تغير الزمان يطبع صبغته على «الإنسان، الأشياء، الدول، وكل ما يستظل بالزمان»، لا أدري لماذا قفزت إلى خيالي تلك التمثيلية، وربطت بينها وبين حالنا؟

نعيش على أمجاد الماضي... ونحلم «بصلاح الدين» أن يأتي فينقذ شرفنا، وينتقم لإهانتنا، ويَضعنا في مُقدمة العالم...

وقد قالها الشاعر:

دَعوا صلاح الدين في تُرابه واحْترموا سُكونه.. لأنه لو قام حقا بَينكم فسَوف تَقتلونه!!!

أتذكر فيلماً شاهدته في أوائل الثمانينيات... يحكي قصة شاب عند مفترق طرق؛ ينعطف يمينا فتكون له قصة... ثم يعرض الفيلم بالتوازي سيناريو آخر، فيفترض أن الشاب انعطف يساراً بدلا من اليمين؛ فيكون السيناريو مختلفاً لقصة أخرى... ويَظل الفيلم يتنقل بنفس الشخصية، التي تطوف مع المسارين المنبثقين من الانعطاف يميناً ويساراً؛ وكأنهما شخصيتان مختلفتان تتطوران مع الأحداث بشكل متمايز... وكانت العبرة من هذا الفيلم الرائع:

إن الاختيارات المتتالية للإنسان هي التي تحدد مسارات حياته التالية.

وبمعنى آخر... لو تخيلنا أنه عند كل مفترق طرق في الحياة، تنبثق قصتان مختلفتان تماما، فهذا يعني أن الشخص الواحد من الممكن أن ينبثق عنه ملايين القصص المحتملة.

لو تأملنا بعد ذلك في الآية الكريمة ﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤ ﴾[الإسراء: 14].

هذا الكتاب نحن الذين نصنعه، اختياراتنا هي التي تسطره؛ فمع كل انعطاف واختيار في الحياة، يَسطر كتاب الحياة مَساراً كنَتيجة لهذا الاختيار، وبهذا نكون مستحقين بالفعل أن نُحاسَب على ما في الكتاب، فالاختيارات تتراكب وتتفاعل بحيث تؤثر في مَسارات الحياة، بل وتؤثر في خِبراتنا وتطور أو ضمور شخصياتنا.

من منا يذكر «طاهر أبو فاشا» مؤلف حكايات ألف ليلة وليلة الشهيرة والتي كانت ترويها الفنانة القديرة «زوزو نبيل»... سمعت تسجيلاً في الإذاعة المصرية يروي أسطورة من تأليفه... حيث دخل رجل عجوز إلى غرفته ثم أغلق الباب، يَظهر عليه الإجهاد الشديد والبؤس، جَلس وحيداً مُسترجعاً شَريط حياته الماضية، يتَذكر بداية حياته الجامعية واضطراره للانتقال من القرية إلى القاهرة، وسكنه بمفرده في حَي من أحياء القاهرة الشعبية... ويُشاهد فتاة تُطل من الشرفة المقابلة، فيَتعلق بها وتَتعلق به، وفي لحظة حاسمة، يَضطر إلى العودة للقرية لظروف عائلية قاهرة، فيَتغير مسارُ حياتِه ولا يَعود إلى القاهرة.

وتَدور عَجلة الزمان... يَتزوج... يُنجب، ولكنه لا يَجد في حياته ولا زوجته ما يُعوضه عن تلك المشاعر الأولى التي احتلت قلبه ولم

تُغادره... أثّرت ذكرى تلك المشاعر عليه حتى شَكلت حاجزاً سميكاً بينه وبين زوجته، فعاش نَكِداً، وتسبب في نَكد زوجته بل وأولاده.. ومع ذلك سارت الحياة حتى انتهى إلى مشهد دُخوله الغرفة وإغلاق الباب على نفسه.. تَظهر أمامه فجأة في الغرفة جِنية!!

قالت: هل تعرفني؟

قال: لا.

قالت: أنا مُكلفة من الإله بتدبير الأقدار التي يُقدرها، وأنا التي تَسببت في انعطاف حياتك فأبعدتك عن الفتاة التي أحببتها، وقد سارت حياتك في مسارها الذي قطعته.

قال لها في بؤس: لقد سَببت لي التعاسة وعليك أن تُعوضيني.. رُدي إلي حبيبتي، فلم تَطب لي الحياةُ من بعدها.

قالت له: هذا ما تَظنه أنت، فلم يُنكِد حياتك سواك، أنت الذي عشت في الخيال مع مَنْ لم يكن من نصيبك، فأتعست نَفسك وأتْعَست غيرك.

فظل يُلح عليها كثيرا وهو يبكي.

قالت له: إليك عني فإني ذاهبة إلى ذلك الشاب الذي سَكن مكانك في الحي، وأعْجَبته حَبيبتك وتزوجها، وهو أيضا يريدني

أن أعود بالزمان لأعَوضه، لأنه أكتشف أن تلك الحبيبة كانت سبب تعاسته، ويَتمنى لو أنه ما سكن في هذا الحي.

هذه قصة أخرى تتحدث عن المسارات والاختيارات والأقدار، والعاقل من لا يندم على ما فات وما اختار وما زهد فيه وما تشبث به، هي الأقدار وهي في النهاية الخير والمستحق لنا.



3 . قليل من التعاطف

﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ٩٤﴾[النساء: 94]

«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»

يستقل الإنسان سيارة فيشعر بالنِقمة وإثارة الأعصاب، بسبب أصحاب الدراجات... تبًا لهم، إنهم يعيقون طريقه، لم لا يَتخذون طُرقاً أُخرى!

وعندما يحدث تبادل للمواقع؛ تتغير زاوية الرؤية، فيركب نفس الإنسان الدراجة، ويشعر بالنقمة على أصحاب السيارات... هؤلاء المغرورين بقوة محركاتهم، وباكتظاظ جُيوبهم بالأموال، لماذا لا يَتريثون قليلا؟ إنهم لا يُبالون بنا ويُعاملوننا كالحشرات، هل يريدون سحقنا تحت عجلات سياراتهم الفاخرة؟

إن الموقع الذي تنظر منه له تأثير على نفسيتك وموقفك ونظرتك للخارج أو للآخر بالتأكيد.

يُذكرني هذا المشهد ببشارة واكيم عندما كان حلاقاً في فيلم «لو كنت غني»، كان يلقي الخُطب النارية التي تنادي بحقوق الفقراء والتي يجب أن تُنزع من الأغنياء، وعندما مات قريبه (الشحات)

الذي كان يتبرأ منه ويخجل من فقره، وترك له مالاً كثيراً، فأصبح من الأغنياء، وتبرأ من الفقراء.

وهكذا أكثر الناس، يَصعُب عليه أن يَضع كلتا القدمين في المركبتين، مركبة الفقر والغني، مركبة الصحة والمرض، مركبة الإيمان والكفر، وكأنهما مركبة الحَر والبرد لا يجتمعان، ولكنهما يجب أن يجتمعا في الإنسان ضميراً وخيالاً ورحمةً، فيضع نفسه في خياله وضميره مكان الآخر، يَعذره ويَشعُر بَبعض شُعوره.

أتذكر قصة في أحد الأفلام الأجنبية التي تُهدي نفس الحكمة؛ حيث يؤيد رئيس القسم المتخصص في علاج الأورام الخبيثة في مستشفي أمريكي شهير، مدرسة «نظرية عدم التعاطف مع المريض»، والتي تتلخص في أن التعاطف يَضر بالمريض ويُشتت الطبيب، ولهذا يجب مصارحة مريض السرطان بمرضه واحتمالات نجاته من عدمها، وإعلامه بكل الحقائق دُفعة واحدة... وعندما يتعاطف طبيب تحت رئاسته مع المريض كان يُعنفه ويلومه بشدة... وإن كررها يعاقبه.

ذات يوم شَعر رئيس القسم بألم في وجهه، وحين خَضَع للفحوصات، ظهر احتمال ورم خبيث، فلجأ إلى الطبيبة الزميلة المتخصصة في هذا النوع من الورم، وعاني كثيراً من الانتظار حتى ظهرت النتيجة إيجابية، وخضع للعلاج مع المرضى لدى الطبيبة

التي تؤيد نفس مدرسته، فأذاقته مُر المدرسة التي يُناصرها، وعانى البرود والجُمود والمُعاملة الخشنة من الطبيبة، وعندما فاضت مشاعره؛ صرخ في وجهها: «أنا زميل لك، يجب عليك مراعاة ما أعّانيه من أزمة نفسية»، فتصرفت وكأنها لم تسمع شيئاً، تجاهلته وأدارت وجهها بعد إعطائه تعليمات العلاج.

حين مكث في المستشفى مع المرضى، تفاعل مع فتاة عشرينية في مراحل مرضها الأخيرة، وقف معها حتى اللحظات الأخيرة، فخاض معها تجربة إنسانية عميقة ومأساوية... حتى توفيت الفتاة، وشُفي هو في النهاية وظهرت نتائج سلبية للورم، وعاد لعمله.

وجاء مشهد الختام للفيلم، حين جمع كل الأطباء والممرضين تحت رئاسته، فألزم كل واحد منهم أن يختار نوعاً من الأورام، ثم يعيش فترة كمريض حقيقي، ينام على سرير المريض، ليتفاعل مع المرضى ويعيش هُمومهم ومخاوفهم.

نتعلم من القصة أن التعاطف المبالغ فيه قد يكون مضراً بالمريض، مثل الأب الطبيب الذي لا يستطيع لتعاطفه الشديد إجراء عملية لابنه، لكن عدم التعاطف والجفاء أشد ضرراً، والمطلوب هو قدر من التعاطف الدافئ والمراعاة الحنونة للمريض.

أليست تلك الفكرة توحي بقليل من التعاطف بين المختلفين في الآراء والعقائد، فيشفق كل منهما على الآخر ويضع نفسه مكانه، فيدرك أن العقائد الموروثة من البيئة تختلط بلَحم الإنسان وعظمه، فلا يسهل التخلي عنها، فلا يصفعه في عقيدته مباشرة ودفعة واحدة، ولا يعتبره خبيثاً أو شريراً بسبب تصنيفه مخالفاً في العقيدة، ويكون الحوار بين الإخوة والمحبين، ولا تكون الاستجابة مشروطة بالعقيدة، ونتخلى عن فكرة أن الحب أو الرحمة فقط لمن هو مثلي.

ألا تعلم أن نسبة المنتقلين من دين إلى دين، أو من مذهب إلى مذهب، أو من حزب أو جماعة أيدلوجية إلى أخرى، أو حتى من الأهلي إلى الزمالك، هي نسبة لا تتجاوز ال ٪0.001 من البشر، وهذه النسبة تبين لك صعوبة الاستجابة لتغيير المعتقد.

قام أحد المراكز البحثية بالولايات المتحدة الأمريكية بحشد مجموعة من مؤيدي الحزب الجمهوري، ومجموعة أخرى من مؤيدي الحزب الديمقراطي.. فجلس مؤيدي الحزب الجمهوري في غرفة، وألقى عليهم مرشح للحزب الجمهوري خطبة دعائية، احتوت «عمداً» على عدد كبير من المتناقضات التي يسهل ملاحظتها والانتباه إليها، واستمع المؤيدون له وهم سعداء، واستحسنوا كلامه وأكثروا من التصفيق بحماس.

ثم قام المرشح الجمهوري بإلقاء الخطبة نفسها على مؤيدي الحزب الديمقراطي... فاستمعوا له في تحفز، وأدرك المستمعون بسهولة تناقضات الخطاب وقاموا بنقده ورفض مغالطاته.

وحين تكررت التجربة بمرشح من الحزب الديمقراطي، تكررت نفس ردود الأفعال، المؤيدون فات عليهم ملاحظة التناقض، في حين تنبه له المعارضون بسهولة.

في هذه التجربة قام العلماء برصد حركة المخ لدي الجميع، فتبين أن مع المرشح المؤيد يعمل الجانب العاطفي من المخ، بينما مع المرشح المعارض يعمل الجانب المنطقي من المخ.

وأخيراً... لنرفق بأنفسنا ونرحمها.

4. عقولنا غسيل ومكوة

«لم يشهد التاريخ محاولات عنيفة وكثيفة وقاهرة، لغسيل المخ وتوحيد أفكار الناس، مثلما يتوحد الزي المدرسي، كما يحدث اليوم».

كان لأحد الصالحين جار من الخوارج شَهِدَهُ على عِلم وعبادة وورَع، فطَمع في أن يَلين قلبُه ويَدَع ما هو عليه من أفكار، زاره في بيته وقام بمدح دينه وعقله وخُلقه، ثم ناشده أن يرجع عن فكره ، فأنصت إليه الخارجي في أدب وحلم، وتركه حتى فرغ من كلامه، ثم هب واقفاً وطلب منه مصاحبته إلى المسجد.

جلس الخارجي في مقدمة المسجد، وأخذ يَتَغَنَى بالقرآن في صوت شديد العُذوبة، فتجمع المصلون حوله في إعجاب، ولما احتشد حوله بالمسجد عدد كبير، قام فخطب فيهم، ذاكراً الحجاج بكل سوء، فقال:

– لقد كان كان ناصبياً وكان جباراً عنيداً، مقداماً على سفك الدماء بأدنى شبهة، وله ألفاظ بشعة شنيعة ظاهرها الكفر،

فيه سَرف وإسراع إلى الباطل، مع لجاجة في الحقد والحسد.. وظل يُعدد في مساوئ الحجاج حتى شَحَن الناس جميعاً نِقمَة عليه.

ثم قال: إني ألعن الحجاج فالعنوه معي، وظل يدعو عليه ويلعنه، والناس تقول وراءه «آمين».

بعد ذلك التفت إلى الناس ثم قال:

- أيها الناس.. لا مانع أن نراجع أنفسنا، فالمؤمن وقّاف عند الحق ولا يصر على ذنب، ألا تعلموا أن الحجاج كان تَدَيّن بِتَرك المُسكر، وكان يُكثر تلاوة القرآن، ويَتَجنب المَحِارم، ولم يشتهر عنه شيء من التلطخ بالفروج، وكان حريصاً على الجهاد وفتح البلاد، وكان فيه سَمَاحة بإعطاء المال لأهل القرآن، فكان يُعطي على القرآن كثيراً؛ ولما مات لم يترك فيما إلا ثلثمائة درهم.

أليس هو القائل:

يا رب قد حلف الأعداء واجتهدوا * بأنني رجل من ساكني النار

أيحلفون على عمياء ويحهم * ما علمهم بعظيم العفو غفار

فأُخبر بذلك الحسن، فقال: بالله إن نجا لينجون بهما..

يا قوم.. لقد ظلمنا الحجاج، وحق لنا أن ندعو له؛ فإني داع فأمّنوا:

وظل يدعو للحجاج والناس يرددوا: آمين.

ثم خرج مع صاحبه وقال له:

هل رأيت هؤلاء الحمقى! يلعنون الحجاج، ثم يدعون له في مجلس واحد، والله لأقاتلنهم ما حييت.. وانصرف عنه.

ألا تذكركم هذه القصة بالإعلام في هذا العالم، هذا الذي نُسلم له وعينا يفعل به ما يشاء.. «غسيل ومكوة».. يُلبس الشر قناع الخير ويَسحر أعيننا فنراه خيراً، ويُلبس الخير قناع الشر ويَسحر أعيننا فنراه شرا.

أغلب الناس مثل رُواد هذا المسجد؛ لا يبذلون جهداً في تمرير الكلمات خلال قناة المنطق، وبهذه الطريقة تُغّيب الشعوب وتضل وتشقى.

ولنناقش حجج الخارجي في مدح وذم الحجاج، كتدريب على اختبار أي كلام متزاحم أمام العقل، والتعرف على موافقته للمنطق أو تناقضه معه، لأن الكلام يُنْسِي بعضه بعضاً ويَختلط كبيره بصغيره.

لقد ذم الرجل الحجاج بصفات خلاصتها؛ «الإسراف في الدماء» هل رأيتم كلمة مثيرة للسخرية مثل؛ «الإسراف في الدماء» وكأن عشرات الألوف الذين قتلهم ظُلما، هم مال مِلك له، ويُعاتبه التاريخ أنه أسرف في الإنفاق منه!

وهل المسلمين الذين قتلهم وعددهم يتجاوز عشرات الآلاف، هم مِلك له يَقتل من يشاء؟

يُذكرني تعبير «إسراف في الدماء» برد نابليون بونابرت المفحم؛ عندما عُوتب في كثرة القتلى في معاركه الكثيرة عبر القارة الأوربية فقال:

«دخلي السنوي مائة ألف جندي، فما الضرر حين أنفق منه عشرة آلاف!»

هؤلاء القتلى ضحايا الحجاج، هم الإنسان الذي هو «بناء الله» الذي هدم الحجاج الآلاف منه، ﴿مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾[المائدة: 32].

ثم نقول كان مسرفاً في الدماء!

أعود لما مَدَحَ الخارجي به الحجاج؛ تلاوة القران، تَعفف عن الزنا، إكرام أهل القرآن... الخ، كلها طاعات جسدية ولا يمتد نفعها إلى أحد غيره، وأيضا، تَرْك المعاصي بينه وبين الله، ولا يمتد ضررها إلى أحد غيره.

المسافة بين ما مُدح به الحجاج وما ذُم به تعادل المسافة بين السماء والأرض، فهل من يقتل الآلاف ثم يصلي قيام الليل ويصوم الدهر، نَحتار في الحُكم على صلاحه من فساده؟

هذه هي الفكرة التي لا بد أن ننتبه لها والتي نحتاج إليها اليوم.

فمن ينصت للآلة الإعلامية أو لأي مُغالِط، حين يَمدح وحين يَذم، يَجب عليه أن يَزِن كل كلمة بميزانها الذي قَدره الله في كتابه.

الدماء لا يُطَهّرها قراءة القرآن وتَرك المعاصي، ولذلك لا بد من استحضار الوعي، فلا نكون مثل الريشة في مهب الريح، لا نتركه يغني أغنيه حزينة فنبكي، ثم يغني أغنية احتفالية مَرِحة فنضحك.

لا بد من الاحتفاظ بوعينا، والتمسك بالمنطق، يجب ألا ندع الإعلام الذي عبر عنه القرآن «بالنفير» يلعب بنا، ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾[الإسراء: 6].



5 . موعظة طائشة

«احترس من الدب الذي رأى ذبابة على رأس صاحبه، فألقى عليه حجراً هشم رأسه وقتله».

كُنتُ حديثَ عهد بالتدين عندما قصصت حكاية على صديق لي أبغي موعظته، فقلت له:

رجلان اتفقا أن من يَموت أولا يَزور صَديقهُ في المنام، ليُخبِرَه بما حَدث له مع رَبه، وعندما مات أحدُهما وَفى بوعدِه وزار صاحبه في المنام وقال له:

= وقفت بين يَدي ربي وعُرِضَت عَلي صَحيفة أَعْمالي، حِج ثلاثين عاماً، جِهاد سنوات كثيرة في سبيل الله، صيام الدهر، قيام الليل طوال العُمر بلا انقطاع، عُرِضَ كل هذا على الله تعالى؛ فلم يَقبله.

فامتلئت رعباً، وأُسقط في يدي، وَخشيت أن يُؤمر بي إلى النار، فنادى الله تعالى:

– هناك عَمل لم أُحاسِبك عليه بَعد، في يوم ما أمطت الأذى عن الطريق، وقد قَبِلت هذا العمل منك، وسَأُدْخِلك به الجنة .

وما إن انتهيت من قصتي حتي وجدت صديقي وقد شَحَبَ وجْهُه واتسعت حَدَقة عينه، وقال لي:

– ماذا تقصد من حكايتك هذه؟

=: أن لا نَسْتهين بالأعمال الصغيرة.

– أنا لم أفهم تلك الرسالة، ما فَهمته أن الله تعالى يَستحيل إرضــاءه، ولا نعلم ما يرضيه مما لا يرضيه، فحين أنظر لذنوبي وتقصيري وأُقارنهما بهذا العابد المعجزة؛ أوقن أنني سوف أَهلك .. انتقل الشحوب إلى وجهي، وأنا مُمتلئ دَهشة من كلام صديقي، ثم وليته ظهري وانصرفت، فقد أفهمني برد فِعله العَفوي ما لم أكن أفهم، فالمبالغة في المواعظ قد تُعطي عَكس غَرَضها، وتَبُث اليأس بدلا من زَرعِ الأمل.

في الدعوة إلى الإسلام يقع الداعي بين ثنائية الترغيب أو الترهيب، ولكي أوضح نموذج الثنائية وتضليلها أَقُصْ الآتي:

بعد استقلال الدول العربية نَشَبت حروب مع الكيان الإسرائيلي، ومر الصراع بمرحلتين؛ المرحلة الأولى كان الشِعار «لا صوت يعلو فوق صوت المعركة»، فكان الرد على تبرير معاناة الشعوب هو «لا بد من أن نضحي بالشعوب من أجل القضية العادلة».. وعندما حَدَث التصالح مع الكيان الإسرائيلي؛ سألوهم هل نَفَضتم أيديَكم من القضية؟ فكان الرد:

«يجب أن نُضحي بالقضية من أجل الشُعوب»، فكانت الثنائية هي الفخ؛ إما وإما.

في التبليغ الديني تُستحضر الثنائيات كفخ يَقع فيه المُبلغ، فعند التشدد يُضَحَىَ بالناس في سبيل الرسالة، وعند التنازل والتمييع يُضَحَىَ بالرسالة من أجل الناس، وكلاهما فخ يجب أن لا يقع فيه المُبلغ، وأن يحرص على الاحتفاظ بتوازن دعوته.

قال الوزير في نفسه وهو يكاد يجن: ماذا أفعل مع هذا الخليفة الذي لا أعرف حدوداً لرِضاه وغَضبه؛ يَرضَى فيَمنح أكياساً من الذهبِ بلا حساب، ويَغضب فتَطير الرقابُ بلا عَدد، ولا أعرف لِمَ رضيَ ولِمَ غَضِب؟

حين يلجأ المُبلغ للترهيب، لظنه أنها وسيلة سهلة وسريعة لشد الناس للدين، يستخدم التخويف أكثر من الترغيب، لأنه يرى أنه أكثر فاعلية في زَجْرِ الناس عن المعصية، فيَظن أنه يُؤثر فيهم ويَصدمهم ويُدهشهم، معتقداً أنه سَيطر على نُفوسهم ودَفعهم للإيمان والعمل الصالح.

لكن الذي يَحدث هو أنه مع كفة ميزان الترهيب التي طَففها، وتحت وقع سَوط التخويف الذي ألهبهم به، يَنتاب المرء شعور دائم بالوجل والقنوط، فيصبح غالب تصوره عن الله أنه الذي يَبطش

ويُخيف، فتتوارى وراءها صورة الله الذي يرحم ويعفو، فيتسرب إليه الشعور بالعَبثية والعَدمية واللاجدوى من العمل.

في القرن الأخير كانت الشعوب معملاً لتجريب نظريات كثيرة مُهلكة؛ فأودت بحياة وجَرحت وشَردت ونَكدت عيش المليارات من البشر، فالناس قبل العالم الحديث كانت أكثر حرية، ولم تكن السيطرة على الفرد بتلك القبضة الحديدية المُحْكمة.. كان للإنسانِ هامشُ مُعتبر من حرية الانتقال من بلد إلى بلد.

أما اليوم فكل إنسان له رقم لا يستطيع الهروب من القَبضات المحيطة به، من يستطيع اليوم الذوبان في البشر؟ حتى هذا الهامش لم يعد متاحاً، فمع التكنولوجيا الحديثة لم يتبق للإنسان مهرب سوى الموت.. أصبح مسجونا في أنظمة دوائر متداخلة «النظام الإجتماعي، والتعليمي، والقيمي، والديني، والمذهبي، والقومي»، حتى الموبايل والإنترنت ووسائل الاتصال والتواصل؛ أصبحت وسائل لإحكام القبضة على الإنسان، قبضة من أعلي حيث يسيطر العم سام، ومن أسفل حيث المجتمع التعسفي الذي يخترقه حتى يكاد ينزعه من نفسه.

«الناس تَعِبَت» وأقصد بالناس كل بني آدم على ظهر الأرض، لن يتقبلوا طوعاً مزيداً من التضييق والتحكم الشديد، والدين

هو الاختيار الوحيد الباقي المتاح للناس، وحين نضيف صورة ديكتاتورية للإله؛ سوف يهرب الناس، فالإله سمحَ لنا في الدنيا بما لم يَسمح به البشر، سمح بالتمرد عليه وإنكاره أو التكاسل عن طاعته، والحساب مؤجل، فإن زدنا في جرعة الترهيب اليوم، فسوف ندفع الإنسان للانفلات والتخلي.

(قال سيدنا على بن أبي طالب رضي الله عنه: الفقيه مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَمْ يُؤْمِنْهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُمْ فِي مَعَاصِي اللَّهِ).



6 . قناع التحامل

هل نحتاج للمناداة بشيزلونج لكل مواطن؟

كنت في زيارة لأقربائي في قرية مصرية، فلاحظت في تلك السنة نشاطاً صاخباً وحوارات عنيفة بين غالب أهل القرية. تسمع نقاشاً حامياً، وترى أوداجاً منتفخة، وعيوناً تطلق شرراً.

تعجبت لهذه الظاهرة الغريبة، والتي تتناقض مع طبيعة أهل القرية من الكرم والود والرحمة.

سألت ابن عمي: لماذا انقلب الحال؟..

فأخبرني أن في تلك الأيام انتخابات العُمودية، والمنافسة مشتعلة بين فلان وفلان... قلت: لكل واحد عائلته التي تسانده؛ ما الذي أدخل بقية أهل القرية في هذا الصراع المتوتر؟ فأخبرني أن القرية تمتلئ بالحزازات الفردية بين الناس.

هناك التعاملات المالية، وصِلات النَسب وما يُعكرها، والصراع على الميراث، والتشاحن بسبب الري، وحدود الأرض الزراعية، وأيضاً الغيرة الطبيعية بين القرناء، وأشياء أخرى كثيرة، تتواجد بتواجد المجتمع الإنساني.

هناك إثارة للمشاعر واختلاف في المواقف، يمتلئ قلب هذا وقلب ذاك، ومن امتلأ قلبه لا يستطيع أن يَصُبه كله، فيَتبقى في القلوب مشاعر ونِيات، لا يستطيع أن يُخرجها حَياءً أو رَهْبةً، ينتهز أهل القرية مُناسبة الانتخابات لِتَفْريغ ما يستطيعون من تلك الشحنة النفسية.

يَتَربص كل فرد بخصمه... وبمجرد أن يُعلن أحد الخصمين انحيازه للمرشح الأول يُسرع الآخر بإعلان انحيازه للمرشح الثاني، ثم تبدأ معارك تفريغ الشحنات.

هل نتذكر ذلك المشهد المسرحي المتكرر، عندما يقوم كل من الزوج والزوجة ساعة الخلاف، بالشجار العنيف من خلال الخادم، هذا يسبه وهذا يلكمه، والخادم الذي اعتاد على تلك الوسيلة للتنفيث، يقف مستسلماً لدوره، يتلقى اللكمات المادية واللفظية، مستسلماً كقناة لتفريغ المشاعر، وهو يطمع في النهاية أن يكافأ من الزوجين بكرمٍ فيما بعد، هذا هو حال قريتنا اليوم.

فالكل لا يستطيع أن يواجه خصمه بالسبب الحقيقي لعداوته له.. لأن هذا يُخجله، فيتعلق كل منهم بمناسبة الانتخابات... ليخرج كل ما عنده في جُرأة وتَبجح... دون أن يتلقى لوماً من أحد.

استمعت لحديث بن عمي، بينما تتراقص أمام خاطري عشرات المشاهد المماثلة تلك الحالة، حيث تَخرج كثير من المشاعر

متخفية في قناع مُسوغ للجميع، وتذكرت لنفسي مواقف مشابهة انحزت لأحد الأطراف غطاء لمشاعر مكبوتة، لأن المشاعر حين تخرج عارية تُخجل أصحابها، هذه الدنيا.... وهؤلاء الناس... مُركب معقد من الضعف.

في هذه القصة لطائف مهمة وجوهرية:

أولا: ما تحمله النفوس من مشاعر وانفعالات تَخجل أن تطلقها وتَعجز أن تقاومها ولا تستطيع تجاوزها، فتظل مثل التجمعات الصديدية التي تُحبس داخل الجسم وتظل تؤلمه ولا حَل إلا خروجها منه.

ثانيًا: الخجل منها ومن جديتها، مثل من يخجل من بقع سوداء أو زوائد جلدية في مناطق حساسة بجسده، فلا يجد الشجاعة أن يخبر بها أحد أو يستعين عليها بطبيب فتظل بداخله يَشقى بها.

ثالثًا: حين تواتيه الفرصة لإخراج صديدها، يُخرجه من وراء قناع، فتخرج في صورة غَضب وصراخ وربما سِباب، والمعنى في بطن الشاعر كما يقولون.

هذه الأعراض منتشرة فينا وبصور شتى تتلخص في مصطلح النَفسنة، وهي تنبع من ضعف نفسي وخجل اجتماعي وجبن عن المواجهة.

وهي السر في أننا كثيراً ما تنفلت منا سلوكيات ومواقف غير مفهومة حين نُرجعها للموقف الذي تزامن معها لا نجد أي علاقة

بينهما، فرد الفعل لا يتناسب أبدا مع الموقف الأخير، ويحتار المرء كثيراً، ثم يهز كتفيه عجزاً عن الفهم.

ويتبقى أن نتساءل ما هو العلاج لتلك المشاعر الضارة؟

الحل هو الانتباه لها بداية من تسللها إلى نفوسنا نتيجة ما نظنه إهانة أو حَسد أو سوء ظن، نقاومها في بدايتها ونطهرها باستدعاء إيماننا بالله، وبالتسلح بحسن الظن والتغاضي والعفو والعذر.

وإن لم نقدر فلا نَكْتُم، نعترف بما نبت في قلوبنا ونُقدم على المصارحة، فنصارح الآخر بالكلمة أو الموقف أو الإحجام الذي تسبب في أذى الشعور وسبب الحرج والضيق، وفي المصارحة تنفيث وإصلاح، ويحتاج شجاعة لا بد من استدعائها.

7. الظالم والمظلوم

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[النحل: 118].

«لا تظلم ولا تنوِ ظلماً ولا يفرح قلبك بظلم ولا تحب ظالماً»

أخذ يشكو الظُلم الذي يقع على الأبرياء فسألته..

- : إذا قُبِضَ على شخص يُظَن أن لديه مَعلومات تَمنع شراً قد يصيب أُناسا أبرياء، ولكنه رفض البَوح بما عنده... هل توافق على تعذيبه من أجل الصالِح العام؟ أم تَحترمه كإنسان حر، فترفض تعذيبه، وليحدث ما يحدث.

= : أعذبه حتى يَعتَرف لكي أُنقذ الضَحايا الأبرياء.

-: لقد ذَكرت كَلمة خَالدة خُلود الإنسان، من أجلها أُحرق وقُتل وأستُبيحَ البروتستانت في أوربا، وعُذب المسلمون واليهود في محاكم التفتيش، إذاً أنت مثلهم فلا تَلُم عليهم بعد اليوم.. أنت لم تَعرف للإنسان حُرمة، فباعتدائك على الإنسان تعتدي على قيمة كبرى يجب أن لا تُمس.

قبل أن تُطالب بِرفع الظُلم، طَهر فِكرك وضَميرك من الظلم، وإلا سَتكون أنت أول ظالم عند أول فُرصة.

في الدولة الحديثة يكون للإعلام قدرة كبيرة على حشد الناس فكرياً، ويشن آلته الإعلامية بكل قوتها للتضخيم من حادث أو خطر، فيتأثر الناس وتَفور الدماء في عروقهم.. فيطالب الرأي العام بقتل فلان.

والسؤال هنا: ما هي وظيفة القضاء إن كان للرأي العام هذا التأثير؟

لنتخيل أن الإعلام يجري استطلاعاً للرأي للإجابة على السؤال التالي:

هل توافق على تعذيب فلان المجرم ليعترف بشركائه؟

سنكتشف أنه بمنتهى السهولة سيُصوت الناس بنعم، وبالطبع لن تَحتاج الدول لأكثر من هذا التصديق الشعبي، ثم بعدها تتوالى آلاف الحالات عبر عشرات السنين فيصبح التعذيب منهجاً، ولن تفكر الدول في عمل استفتاء لتعذيب كل مواطن، يكفيها مرة واحدة.

ولهذا فالصواب ألا توافق كإنسان على أي انتهاك لإنسان آخر؛ حتى لو صَوروه كشيطان، أو اتهموه بأفعال الشياطين، فالرأي العام

ليس قاضياً ولا يجب أن يتصدى أحد لإصدار الأحكام، ولا يَصح أن يُنتهك الإنسان؛ فالإنسان قيمة مطلقة.

كتب أحد الولاة إلى عمر بن عبد العزيز:

«إن أحد العُمال اقتطعوا مالاً، ولا أقدر على استخراجه من أيديهم إلا أن أمسَهم بشيء من العذاب... فإن أذِنتَ لي أفعل!»، فكَتب إليه عمر:

«إني أعجب من استئذانك إياي في عذاب بشر كأني لك حصن من عذاب الله، وكأن رضائي عنك يُنجيك من سَخط الله، فانظر من قامت عليه بَينه، فخذه بما قامت عليه البينة، ومن أقر بشيء فخذه بما أقر به، ومن أنكر فاستَحْلفه وخلِ سبيله... وأيم الله، لأن يلقوا الله بخياناتهم أحب إلي من أن ألقى الله بدمائهم والسلام.

ألا تدعو تلك القصة للفخر!!

تلك القصة نادرة في التاريخ وحدثت في أثناء ما يسمى أوروبياً بالعصور المظلمة؟ وما أدراك ما هي العصور المظلمة!

عندما كان سعد زغلول ورفاقه في المنفى؛ أمسكت السيدة صفية زغلول بعصفور كانت تحتفظ به في قفص، وأطلقته من النافذة، وعندما سألوها قالت: علي أن أحرر عصفوري السجين، حتى يحرر الاستعمار سعد ورفاقه.

من يرجو من الله تعالي رحيلَ بلاء كبير أو رفع ظلم؛ لا بد أن يُحرر المظالم التي في يديه، صغيرة كانت أم كبيرة، تَستحق في نظره أم لا تَستحق.

أطلق عصفور ظلمك كي يلهم الله غيرك أن يطلق أفيال ظلمه.



8. المصري أفندي مكرّماً ومهاناً

هل احتلت الإهانة مقعد الكرامة؟

وهل تراجعت الكرامة تحت قهر الواقع لتحتل المقعد الأخير؟

في مسرحية «حواء الساعة إتناشر» يخاطب الناشر الشهير «فرغلي» المؤلف الكبير «فؤاد المهندس» في غضب وثورة قائلاً:

«ألبس هدوم مجانين.. معلش»، «أروح الخانكة.. زي بعضه»، «أتلطش من كل تمرجي قَلمين.. مفيش مَانع» «إنما كون المجانين يندهولي فرغلي حاف من غير أستاذ.. دي لا يمكن أقبلها أبدا!!»، «أنا محترم وهاعيش محترم وهاموت محترم»...

شخصية مضحكة ومشهد لا يُعقل، لو صدر مثل هذا الكلام من أي شخص فسوف يبدو كأحمق، لأنه يفهم الكرامة فهما مُهيناً وشديدَ السطحية.

ذهب أحد الأباء بأسرته إلى أحد المصايف وجلسوا على الشاطئ، ولكي يجاري الناس «الهاي فاي»، سمح بارتداء بناته البكيني، وظل طوال الوقت يتشاجر مع الشباب «قليل الأدب» الذين

ينظرون إلى بناته، ويُصفرون لهن، ويعاكسونهن ويتحرشون بهن، فكان المصيَّف نَكدا...

هذا الرجل أهان نفسه وبناته بالعُري، ويريد لهن الكرامة بأن يَغض الآخرون أبصارهم ويَكفوا ألسنتهم.. ولم يخطر بباله أن يتغلب على ضعفه ويستر بناته.

في ثلاثية نجيب محفوظ تتجسد شخصية السيد أحمد عبد الجواد «سي السيد» المثل الأعلى للرجولة والصرامة والهيبة في بيته، أمهر من يُمسك بالرِق ويضبط الإيقاع للراقصات في بيوت البِغاء؛ فيتمتع في شذوذ بالإهانة والسِباب القبيح من الغانيات، الرجل المُهاب المَكرّم في بيته، هو نفسه الرجل المَسْخرة في بُيوت الدعارة.

هذه ثلاث أمثلة لاختلال ميزان الكرامة والإهانة في نُفوسنا وفِكرنا وحَياتنا، ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾[الحج : 18] –ولا يُهان المرء من الآخَر حتى يُهين نفسه أو يَقبل الإهانة دون مقاومة.

لنتساءل بدافع الجدال وتضييع الوقت والانسياق وراء السوفسطائية والمهلبية، إلى أي مدى تقترب منا تلك الشخصيات؟ أليس فينا مسحة منها؟ بعضها؟ معظمها؟ كلها؟

إننا نسبح في مستنقع من الإهانات التي جلبناها لأنفسنا، ونُغطى عليها نفسيا ومظهريا بلقب الباشمُهندس والدُكتور والباشا والبِيه..

بينما الفرد الأوربي يسبح في بحور من الكرامة التي انتزعها بنفسه ودفع ثمنها كاملاً، لا يَعنيه أن يُنادَى باسمه مجرداً، أو أن تَقوم له حين يَمر أمامك، ولا يَنْتَشي بأي سلوك أو عبارة نفاق.

الإهانة معروفة والكرامة معروفة، لكننا نخلط بينهما عمداً لنداري خيبتنا، وعجزنا، وكسلنا، وهزيمتنا النفسية.

في بلادنا عندما يعلم أي ولي أمر، أن بالمدرسة مدرس أو موظف يتحرش بابنته، كيف يكون رد فعله؟ بلا شك ومهما كان المستوى الاجتماعي لولي أمر الطالبة، لن يقف ساكناً وسوف يُخرج أقسى ما عنده لحماية ابنته وتأديب هذا المعتدي غير الأمين، وعزل خَطره عن ابنته وبقية البنات...

هل سيقوم بحِساب أي نتيجة لعواقب ثورته؟ حتى لو أدت النتائج للشجار أو الشرطة أو القضاء؟

أتوقع انه لن يكون وحده، سوف يتضامن معه بقية أولياء الأمور وربما أهل البلدة كلهم، ويَهتفون «جواز عتريس من فؤادة باطل»...

كيف يكون الحال حينما يعلم ولى أمر الولد أو البنت أن المدرس لا يَشرح، وأن المدرسة التي يُنْفِق عليها من ماله ومن وقت أولاده لا ينتج منها علم، بل هي هَدر في بَحر التَسيب والاستهتار بالإنسان؟

هل سيكون رد فعله مساوياً لرد فعل ولي الأمر الذي تم التحرش بابنته؟... الواقع يؤكد أن رد الفعل سيكون سلبياً تماماً.

هذه الأمثلة توضح اختلال موازيننا وطيش ردود أفعالنا، التي لا تزن الإهانات بميزان واحد، بل بميزان الخيار والفاقوس، ميزان مجتمعي غير راشد، يخلط أوزان القيم المجتمعية والدينية والإنسانية.

قديماً قال أجدادنا الحكماء والبسطاء: «ما عيب إلا العيب»، أما في زماننا فقد حدث تبادل خطير للمسميات والأسماء، فالهزيمة الساحقة تصبح عيداً للنصر ونحتفل بها سنوات طويلة، الرشوة والانتهازية واستغلال المنصب أصبحت ثراءً ووجاهةً وشرفاً، التمسك النبيل بالمبادئ والورع وما يترتب عليه من فقر وعجز مادي، أصبح عاراً وقلة قيمة بل وغيبوبة عن الواقع، نحن نحتاج أن نعيد تعريف الإهانة والكرامة، خاصة بعد أن رفعنا الأولى وهبطنا بالثانية.

في أوربا لو تخطيت الطابور أقل عقاب هو أن ينظر الجميع إليك شزراً حتى تشعر أن حجمك يتضاءل ويتقزم، هذا قليل بالمقارنة لما ستتلقاه من جُمل اعتراضية وتَوبِيخية من الجميع، فترتد خائبًا لمكانك وشُعورُك بالإهَانة هائل ووجُهك ساخن وملتهب، لأنك أهنت الجميع بما فعلت، ورد عليك الجميع بما تستحق، فالنظام والحقوق المدنية هي قناعات بل عقائد شائعة بينهم، ونحن ينقصنا أن تشيع بيننا هذه المفاهيم.

فالمواطن الأوربي عندما يكون في بلده أو سائحا في بلد أخرى، حين يجد أن الخدمة في الفندق لم تكن بالقدر الملائم، يتناول ورقة سريعاً ويكتب شكوى ويضعها في موضعها، لقد شعر بالإهانة حين لم يُعامَل بالقدر الذي يحسب أنه يستحقه.

لِنُعِد تعريف الإهانة والكرامة كي يصفو عيشنا ويرشُد سعينا.



9. اللعبة

«كثيرًا ما نتسرع بإطلاق تلك الكلمة «غور في ستين داهية»، تمنيت لو تكون داهية واحدة، لكي تتاح فيما بعد فرصة للتراجع والندم والاعتذار، لكن «الستين داهية» تبعدك كثيراً عن أي فرصة للاستعادة ثانية».

في الماضي كانت لي هواية غريبة؛ كنت لا أستطيع أن أجلس مع أشخاص في حديث طويل، خاصة عندما نَخُوض في مَواضيع بعيدة عن الثقافة أو الدين، فبعيداً عن هذا الملعب لا أُحسن ولا أسْتَسيغ أن يَطول اللقاء.. لهذا سريعاً ما أسرح بعيداً عنهم، ويَضيع مني غالبُ الحديث، وحين يسألني أحدهم سؤالاً مفاجئاً يفضحني ارتباكي، فأبدو ساذجاً وأخْرَقاً، فيهزوا أكَتافهم تَحيراً ويأساً من هذا الأبله.

أجد نفسي أثناء تلك الحوارات أتسلى بالنظر لمن يتحدث؛ أتذكره في الماضي في مراحل حياته التي خَبِرتَه فيها، ثم أتخيله وقد مر به الزمان للأمام، أُعمِل فيه فرشاة خيالي... شَعْر أبيض، سِمنة، تجاعيد، انحناء ظهر، ضَعف، زهايمر....الخ، ثم أرسم عدة سيناريوهات بناءً على هذا الخيال.

اليوم تكثفت تلك الهواية عندي، ولكن بتطورات جديدة تصل إلى درجة الهوس المَرَضي؛ فما من مكان أجلس فيه بين أشخاص يتبادلون الحديث الودي، إلا وأسأل نفسي: متى يفترقان؟ متى يتخاصمان؟

يَنْدر من يَحْتفظ بمشاعره صافية ومُتسامحة في علاقاته، فالأحداث التي تَهب كالرياح العاصفة كثيرة، والمتغيرات طاغية، والشروط في العلاقة تزداد تعقيداً.

ولهذا ففي غالب المعاملات يحدث توتر يَعقبه انفصال مادي ومعنوي عنيف، حتى عندما يتصالح الإثنان ثانية، يُصبح التواصل بلا روح؛ لهذا عندما يتعامل زميلان بود زائد ومُبالغة في المجاملة، أقفز بخيالي للأمام؛ وقد وُضعت بينهما علاوة أو ترقية أو فتاة جميلة؛ عندما ينفجر بينهما حُب الأنا فينشب بينهما التنافس وتبادل الاتهام واللوم، ثم لا يصفو ود بعد ذلك لهما.

حتى عندما أنظر إلى أبنائي ألعب نفس اللعبة، أتخيل هذا وهذه وقد استقل كل منهما بحياته وأسرته؛ أنظر إلى المستقبل المتوقع، فأجده امتحاناً شديد الصعوبة، فالاحتفاظ بصفاء النية وشفافية المشاعر مع اختبارات الدنيا يعتبر عملاً بطولياً واستثنائياً لا يَقدر عليه إلا أقل القليل.

أَنظُرُ إلى صديقين من دينين أو مذهبين مختلفين، يتصادقان عمراً طويلاً، ثم تأتي لحظة غبية يتشابك فيها ويختلط ما لا يجوز له الاختلاط، فيحدث الفِراق وليته يتوقف ولا يتطور إلى عداء.

الغريب في الأمر أن من يُشجع فريقاً رياضياً لا يقدر على ترك هذا الهوى بغض النظر عن نجاح أو فشل هذا الفريق، فحبه غير مشروط، لا يَحمل ورقة وقلماً ويجمع هزائم الفريق ويضعها في الميزان مقابل فوزه (إلا إذا قام النادي بتوزيع ملابس أو أدوات رياضية على نصف الجمهور وحرمان النصف الآخر)، هنا تتَدخل عوامل أخرى هي بالفعل الفيروس الذي يُكدر الهوى ويُحول دَفته.

لماذا لا يكون اختيار الحب والصداقة والقرب مرة واحدة لا يتم التراجع عنها؟ لماذا لا نحب بروح مشجعي الفرق الرياضية؟ فأنا أراه أنزه هوى في الحياة... حب بلا شروط، بلا التفات للحوادث، حب فقط وتَحمل وتَمنى الخير.

لو كانت العلاقات بين الناس بالجمع والطرح لكانت النتيجة معقولة قليلًا، فنستطيع جمع المحامد ثم نطرح منها المذام، لكن للأسف العلاقات تقطع بميزان طاغ وظالم، ميزان المَوقف الأخير، عشرات من المواقف الحميدة، تنهار في لحظة أمام موقف وحيد غير مقبول، يتحول الصديق بعدها إلى إنسان خبيث ولئيم وحقود

وأسود القلب و.. و.. و.. وتنفرط المذام بلا حدود، فمن الصعب تخيل الإنسان الواعي لعلاقاته.

السؤال الجوهري هنا.. هل يمكن تطبيق نفس اللعبة على الفرد الغربي أو الأميركي؟ الإجابة عندي لا!

والسبب:

أولا: المسافات بين الأفراد في أوربا تختلف تمامًا عنها في العالم العربي، والمسافات بين الأفراد في العالم العربي قريبة بدرجة مبالغ فيها... أما في الغرب فمتباعدة بدرجة مبالغ فيها؛ والنتيجة أننا نعاني، وهُم يعانون، ولكننا نختلف في نوعية المعاناة.

في أوربا حرية الفرد وخياراته مقدسة، فلا سُلطة لأحد أو حتى نية للتدخل في شؤونه، وعندما تتباعد المسافات يختفي العَشَم، حيث يضعُف جداً عندهم الترابط الأسري والعائلي مقارنة بما عندنا، ولهذا لا تنافس ولا تداخل ولا غِيرة.. ولكنهم مُبتَلون بالشعور بالوحدة والحِيرة وافتقاد الدفء، والأفدح هو عدم توقع المساندة والدعم من أي أحد سواء قريب أو بعيد.

أما نحن فالتدخل والتداخل لدينا مبالغ فيه؛ فالموروث الديني والاجتماعي متشابك بحيث تتداخل دوائرنا، نحن نتدخل في معرفة

الراتب، وأين نذهب؟ وهل حملت الزوجة أخيراً؟ وماذا نأكل؟ وماذا، وماذا؟ وكل هذا يُعبئ النفسية ويَنثر مادة للتحاسد والمقارنة ويبعث بُخار الحسد والنفسنة.

ثانيا: المنظور الديني الذي يعتمد على تفاوت الأرزاق والحظوظ، فنحن نكرر كثيراً الحديث عن الرزق والرِضى به؛ ونؤمن بعامل غيبي لتقسيمه، فنَحار بين إيماننا وبين نظرتنا إلى ما نَراه تفاوت في الأرزاق... بينما الأوربي يؤمن أن ما يصله هو أمر واقع، فيتعامل بواقعية كبيرة مقارنة بنا؛ فالمنظور الغيبي عندهم ليس قوياً، لإنهم لا يعتقدون في الحَسَد، ولا يتعاملون مع الله كأب يوزع على أولاده ثروته، بينما نحن نُكرر بألسنتنا «الحمد لله»، ولكن عندما يتفاوت الرزق المادي أو الدراسي للأولاد أو الوظيفي أو فرص الزواج؛ تَشب نيران مختلفة الدرجة في صُدورنا وتَختبر إيماننا وثَباتنا... غالبا ما نُنكر تلك النيران، رغم أنها طاغية وتريد الانفلات، وهذه النيران هي التي تسبب القطيعة وتدير سيناريوهات الفِراق والنَفسنة والتحامل وعدم العفو.

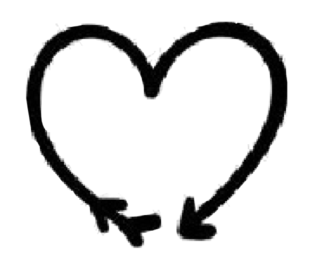
المجتمع الأوربي مجتمع مختلف في عقده النفسية عنا، فلا توجد الحدود الدينية في العلاقة بين الرجل والمرأة، بالطبع لا أمدح عُرفهم في العلاقة بين الجنسين، ولكن هم بالفعل ليس لديهم عُقدة

الزواج والإنجاب، حيث أنه ليس أساسياً عندهم، ومن لم ينجب يَقبل التبني بسهولة.

كما أن الفروق الطبقية في الغرب بين الناس قليلة، فلا تجد عندهم عقدة أن الطبيب لا بد وأن يتزوج طبيبة أو مهندسة، بل تجد جامعية تتزوج سَباكاً، وفي نفس الوقت لا يشعر أي منهما بفجوة ثقافية أو اجتماعية بينهما، لأن هذه الدول لديها تعليم جَدّي يزيل الفوارق وليس شكلياً مثلما لدينا.

في قيادة حياتنا نحن العرب إشارات المرور الحمراء كثيرة جداً، بينما الغرب ليس لديهم كثيرٌ من تلك الإشارات الحمراء إلا بمعدل معقول، لديهم إشارات حمراء قليلة لا تعيق الحياة ولا تكدرها، ولا تضطرهم لشد الفرامل كلما مروا فوق مطب اجتماعي صناعي أو لانتظار متكرر لإشارة ضوئية حمراء من الآخر.

حياتنا نحن العرب مثل من يسير بسيارته وسط المدينة، يواجه مطباً صناعياً كل عدة أمتار، ولهذا فلا سرعة ولا سهولة ولا إنجاز.



10. المشي على أربع

لو وضعت في رقبتك طوق فسوف تُقاد

ولو خرج شعاع الخوف من عينك فسوف تُقهر

ولو انحنيت فسوف تُمتطى

في قريتنا شاب عليلُ الإدراك «عَبيط»؛ يَسير بَيننا على أربع لأنه يَعتقد أنه حِمار!.. يراه الأولاد والسُفهاء، فيسارعون بالركوب على ظَهره، فيَغضب له أفراد عائلته، ويهرعون إلى الأولاد غاضبين، يوبخونهم ويُنزلونهم من فوق ظهره... هكذا القصة يومياً.

أخبرهم حكيم القرية طالما يَمشى على أربع؛ فلن يَعدم من يَمتطيه؛ فلا تهدروا طاقتكم في مَنع الناس، عليكم أن تَعزلوه، أو تُقنعوه أنه ليس «حماراً».

في سيرك يحتوى على كافة الألعاب؛ حدث خلاف بين أحد العاملين في السيرك وبين مالكه، فامتلأ العامل حِقداً ورَغبة في الانتقام.. ذهب العامل المَكار إلى الأسد في جُنحِ الظلام، والأسدُ ساكن في قَفصه سَعيد بحياته وشعوره أنه «نجمُ الجماهير»؛ بَسط

العامل يَده أمام عين الأسد بالهاتف الجَوال، وعرض عليه فيلماً من برنامج عالم الحيوان وناشيونال جيوجرافيك... نَظَر الأسدُ في ذُهول إلى مثيله مَلك الغابة، شاهد الغابة بلا أسوار، وبلا هياكل إسمنتية.

رأي كيف يَعيش الأسد، وكيف يَهاب الأسدَ جميعُ الحيوانات... ورأى كيف يَفترس الأسد، فنَدِمَ على السنينَ التي ضاعت من عُمره وهو يُهان حين أقنعوه أنه «قِط»، كم كان انتقام العامل هائلاً... أنْصحكم ألا يُغضِب أحد عاملاً عنده أبداً؛ حتى لا تتكرر المأساة؛ فيُفشى السر ويُحرر الأسود من أوهامها، ويَنْهدم المعبدُ على مَنْ فيه.

في فيلم «البداية» للمخرج «صلاح أبو سيف» جَسدت الصحافة والإعلام فتاة جميلة لعوب هي «صفية العمري» .

والتي كانت عَشيقة للسلطة المتمثلة في «جميل راتب» ، وهي تَستحق أن تَكون عشيقة بامتياز، فهي شديدة الخطورة بجاذبيتها وجمالها وكلماتها، فتستطيع أن تُقنع الناس أنهم قِطط، وفي نفس الوقت، تَستطيع أيضا في لحظة أن تُزيل ذلك الوهم؛ فيُدركون أنهم أحرار، وأنهم خلفاء الله في الأرض، وأنهم ضلوا عن أصلهم وهَدفهم.

اليوم لا حاجة لتلك العشيقة، فلم تَعد تَحتكر الكلمة ولا المعلومة، أصبحت الدنيا مَفتوحة على مِصراعيها.

فقد أحدهم ورقة بنكية «شيك» بمبلغ كبير جداً، وظل يبحث عنها طويلاً، فسأله صديقه:

- أين بحثت؟ فأخذ يعدد له أماكن بحثه؛ «كل الملابس، البيت، العمل، الشارع»... فأخذ يبحث معه ثم قال له: هل بحثت في الجيب الصغير في ثيابك التي ترتديها؟

= : لا.

- : لماذا؟

= : لأني أخشى إن لم أجده أن أموت يأساً!!

هذه القصة التي تُضحك ونَعتبرها مبالغاً فيها؛ تُمثل صوراً من السلوك البشري المُثير للعَجَب، فهذا الرجل بَحث في كل مكان عدا جَيب في سُترته، لأنه يخشى الحكم النهائي بِفقد الثروة المالية، ولأنه أجبن من تَحمل القدر المحتوم، يَرفض كَشف الغطاء خوفاً على إيمانه الضعيف.

وأخيرا؛ حتى يومنا هذا هناك؛

من لا يزال يظن أنه يمشى على أربع..

ومن لا يزال يظن أنه قط وليس أسداً..

ومن لا يزال مصراً أن يكون مفعولا به من الإعلام

الذي يغسل مخه كيف يشاء

ومن لا يزال يرفض إعادة التفكير فيما لديه من أفكار ومواقف وأفعال..

فهو يتخذ هذا الموقف عن عَمْد مع سَبْق الإصرار والتَرصُد، يقبل الإهانة والهوان وقلة القيمة عن طيب خاطر، لأنه يخشى

إن علم أصله أو قوته.. إن استرد وعيه وازاح الوهم..

إن أدرك خطأ المسار الذي اتخذه زمنا طويلا؛

أن تترتب عليه مَهام يَكسُل عنها ويَجبن منها.

فيقرر أن يظل هكذا، وليتحمل هؤلاء السفهاء الذين يمتطونه بين حين وآخر... أو ليتحمل دور الأراجوز في ساحة السيرك... أو ليجلس كالأبله أمام شاشة التليفزيون ليغسل دماغه..

أما من أراد أن يعلم حقيقة أصله وقدره وقدرته... فلا حاجز بينه وبين المعلومة والحقيقة، ولا حاجز بينه وبين استرداد وعيه... فالعشيقة أصبحت متاحة للجميع... وليعش حياة كريمة كما أرادها الله له ولا يلوم غير نفسه؛ حين يُصِر على أن يمشى على أربع.



11 . خالي البيه

«هناك ملايين الدوافع القائدة المستترة خلف آراء الإنسان ومواقفه.. للأسف المنطق هو أضعف تلك العوامل وأقلهم استخداما»

يروي «منير شفيق» عندما كان أحد اقطاب الماركسية، أنه عندما كان في مستهل شبابه، بادره والده قائلاً:

ما رأيك في القانون الذي سوف يُقره الرأسماليون الأمريكيون؟ وعَرض عليه فِكرة القانون، فما كان من «منير شفيق» إلا أن انبرى للهجوم الرافض والمستنكر بشدة للقانون، وبعد أن فَرغ من سَرد حُجَجه ووصْفِه بأنه مَرض من أمْراض الرأسمالية الخَبيثة.. قال له والده:

«حَسناً، وإذا علمت أن هذا القانون أقره الروس! فما رأيك؟» وأُسقط في يد «منير شفيق» وعَلِمَ أنه لم يهاجم القانون، لكنه اتخذ وضعية الهجوم بناءً على كلمة «الرأسمالية» ولو قيل له أن مصدر القانون الروس لدافع عنه، فتَعلم الحِيلة من أبيه الرجل الحكيم، وأدرك أن «المبدأ هو الأساس وليس الحزب أو التيار أو الأيدلوجية».

عندما كان «منير شفيق» مسجوناُ لسنوات بالأردن مع أقرانه الماركسيين، وكانت روسيا من أشد المؤيدين للقضية الفلسطينية، وبالتالي من ألد أعداء إسرائيل، وكان الماركسيون يتفاخرون بنصرة الإتحاد السوفيتي للشعوب المظلومة، وخاصة قضية فلسطين العادلة... ثم قام جاسوس «يهودي/ أمريكي» هو وزوجته بتسريب سر القنبلة الذرية للسوفيت، وبهذا قاما بإنقاذ الإتحاد السوفيتي من خطر ضرب الولايات المتحدة الأمريكية لهم بالقنبلة الذرية، فالروس يعلمون أن ضرب هيروشيما وناجازاكي في اليابان كان رسالة مباشرة للروس؛ بأنهم الضحية التالية، فتغير موقف الإتحاد السوفيتي تماماً، وتَخلى عن مبدأه، بل وخذل كل أتباعه في العالم بموقفه الصادم... فكان الإتحاد السوفيتي هو ثاني دولة في العالم تعترف بإسرائيل بعد أمريكا، فكان الإحباط والارتباك... فما كان من زملاء «منير شفيق» من الماركسيين إلا أن تحولوا آلياً للدفاع عن موقف السوفيت، لكنه لم يسمح لنفسه بالتناقض، فتمسك بمبدأه وهاجم السوفيت وهو في سجنه، وكانت تلك البداية لتخليه عن الفكر الماركسي.

في مسلسل «هو وهي» لصلاح جاهين والذي بعنوان «خالي البيه» .. كان البيه شخصية مهمة، لعبت ابنة أخته وزوجها دوراً كبيراً في

مساعدته في الحصول على عضوية مجلس الشعب، وقد نالت هي وزوجها حظوة ومكانة في البلدة نتيجة انتسابها لخالها البيه، وحين يصلها ما يدعو للفخر؛ تُطنطن بمآثر خالها أمام القرية، وعندما يصلها ما يُشين من الخال تَختبئ في بيتها من الناس، وعندما تضطر لمواجهتهم تبذل أقصى جهدها للتبرير وإضفاء المساحيق على وجه خالها القبيح.

وفي أحد الأيام تزور هي وزوجها خالها في القاهرة وقد حملت في حقيبتها طلبات كثيرة من الأهالي، فقابلهم الخال بوجه خَشبي وإهمال صريح ومهين... ليعود الزوج والزوجة للبلدة ومعهما أوراق أهل القرية، وبدلا من فضح الخال الذي استغل الناس لمصلحته الشخصية؛ قاما بمدح الخال ووصف مشهد خيالي وزائف لاحتفائه بهما وتعهده بتولي مهمة الاستجابة لكل الطلبات التي تسلمها منهم.. واختار كلاهما عدم التضحية بشرف نسبتهما للخال التي تمنحهما مكانة في القرية.

وهكذا يتجسد لدينا مثالان في المجتمع:

مثال «منير شفيق» الذي دار مع الحق حيثما يدور ولا يهمه الأشخاص والأيدلوجيات ولا المصالح والأهواء.

ومثال»خالي البيه» الذي يدور مع المصلحة على حساب الحق.

أي المثالين أكثر شيوعا؟ وأيهما نادر كالعنقاء والخِل الوفي؟

ينتشر في معظم الإعلام العالمي نموذج خالي البيه، تُصدر الحكومات قراراً فيمدحوه ويُسوقوا له، ثم تُصدر الحكومة عكس هذا القرار، فيتجلى النِفاق الخالص في تبريرهم ومدح نفس القرار الذي رفضوه وهاجموه بالأمس!!

هذا العمل يحتاج مرونة نفسية عالية، ودرجة من النفاق لا يَقدر عليها إلا المتميزين من المنافقين، الذين يستطيعون مواجهة الجمهور بنفاقهم ووجوههم متماسكة وجريئة.

ومن الناس من يقبض على الجمر فينحاز للحق ويتحمل بنبل ثمن التمسك به، ولو نظرنا إلى السائد في عالمنا العربي، لوجدنا ان الدافع وراء كل موقف يستتر خلف الإنحياز والعاطفة والعادة والعقد النفسية والإرث الطائفي... ولهذا كلنا ننحاز لخالي البيه، ومع ذلك نصلي ونصوم وندافع عن ديننا بألسنتنا ونحن غير منصفين.



12 . وجه بلا ملامح

«يشهد التاريخ أن أكثر البشر ينزلقون سريعاً إلى التقديس ثم التصديق بلا توقف، وبهذه الطريقة يصنعون أصناماً من الحجارة أو البشر أو الأفكار أو القبور».

عن صَفِيَّةَ أم المؤمنين (رضي الله عنها) أَنَّهَا جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) تَزُورُهُ فِي اعْتِكَافِهِ فِي الْمَسْجِدِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، فَتَحَدَّثَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً ثُمَّ قَامَتْ تَنْقَلِبُ، فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهَا يَقْلِبُهَا، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ بَابَ الْمَسْجِدِ عِنْدَ بَابِ أُمِّ سَلَمَةَ مَرَّ رَجُلَانِ مِنْ الْأَنْصَارِ فَسَلَّمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُمَا النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ.. فَقَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ وَكَبُرَ عَلَيْهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنْ الْإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا). رواه البخاري (2035) ومسلم 2175 .

هذا الحديث أدهشني غاية الدهشة وأراح قلبي، فالنبي ﷺ لم يَترك لمشاعرنا وتقديسنا له مهمة دفع الشبهات، بل قطع

الطريق مبكراً، ونادى عليهما وعرفّهما أنها صَفِيَّة؛ فلو لم يفعل ربما حكى هذان الرجلان الحدث وأعلنا أنهما لا يعرفان تلك المرأة؛ ويظل التاريخ والمستشرقون في تنقُل وتقلب بين كل الاحتمالات لتأويل القصة؛ بين المتربص والمدافع بلا نهاية.

البشر الوحيد الذي أخبرنا عنه الله تعالى في كتابه الكريم، أنه يفعل أفعالاً في ظاهرها الشر؛ بينما هي عين الخير وبوحي من الله؛ هو «الخضر» عليه السلام؛ الذي جاء ذِكره في سورة الكهف والذي خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار، ولهذا ليس بعد الخضر خضر، فلا يُسمح لأي إنسان أن يفعل أشياء قبيحة ويقول لنا أحسنوا الظن فهذا بيني وبين ربي.

لهذا تحايل كثير من الصوفية على تلك النقطة الحرجة؛ حين أشاعوا فكرة أن الشيخ له حال يجعله يُعفى من فروض الإسلام، بل تجاوز الأمر أنهم قالوا: إن رأيت بعينك شيخك على كبيرة فاتهم عينك، وبهذا ينال الشيخ الضال المشيخة والسيادة ويغوص حُراً في المُتع والشهوات.

هالة التقديس للناس وخاصة من خلفية دينية هي التي تُغمض عين العقل، وتُعطي التبريرات للتناقضات التي يقع فيها الإنسان القدوة.

في حياتنا نخطئ كثيرا في تقييم الناس، هناك من يدور في فلك رجل يَظنه قديساً، وما يَجذبه إلا خيوط وهمية من التقديس، ولو أغمض عينه ورآه كما يراه غيره؛ لعرف أنه وغد.

لهذا فإن قناعتي التي تَوصلت إليها «أن الأفعال والأقوال لا بد أن تكون عارية.. لا تخضع للتأويل أو التفسير.. الأفعال لا تتلون بفاعلها، فمن يفعل الفعل المتعارف أنه شرير، فقد ارتكب شراً.. ومن يفعل الفعل المتعارف أنه خير، فقد فعل خيراً... سواء كان الأول ولياً من أوليائنا؛ أو كان الثاني عدواً من أعدائنا.

لا يُعقل أن يكون الفعل خطيئة ويتحول إلى قُربى ومَحمدة؛ لأن فاعله له هالة من القدسية في نفوس الناس.

عن عائشة رضي الله عنها «أن قريشا أهمهم شأن المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ على ذلك إلا أسامة بن زيد حِب رسول الله ﷺ فكلمه أسامة، فقال: أتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام فاختطب، فقال: إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

هذا ديننا وهذا سلفنا الذي يجب أن نقتدي به.

في أحد الأفلام الأمريكية التي تتسم بحرية الخيال وانطلاقه بلا حدود، أعجبني فكرة فيلم؛ تقوم على أن أناساً لهم خِبرات وقُدرات خاصة في الدنيا، عندما يُتوفون؛ يُعرض عليهم «في البرزخ» صفقة، أن يعودوا للحياة فيقوموا بمهام مُحددة يحاربون فيها الشر في الدنيا.

وبالطبع يوافق كل من يُعرض عليه ذلك، فأول ما يتُوق إليه هو العودة لأحبابه وحياته التي غادرها، خاصة من تُوفي فجأة وهو شاب.

وحين عُرضت الصفقة على شاب حديث الوفاة كان الشرط؛ أن لا يعود إلى بلده ولا أسرته، فوافق، ثم هبط للدنيا ومعه رجل عجوز متوفى وقد سبقه في تلك الصفقة، وبمجرد أن هَبطا إلى الأرض أسرع الشاب إلى زوجته وابنه، فوجدهما في العزاء بعد دفنه، خالف الشروط وهرع إلى زوجته تحت نِداء عاطفته التي لا تُقاوم.

فإذا بزوجته وولده وأهله يهربون منه في فزع، ويتدخل أصدقاؤه في الدنيا لإبعاده عنهم، يحاول أن يُعرفهم بنفسه فلا يَلقى إلا الفزع والدهشة في وجوه الجميع.

ثم يَعود لزميله في الصَفقة وهو حزين مصدوم، فيقول له انظر في المرآة الآن، فينظر فيجد أمامه رجلاً عجوزاً شديد القبح، فيلتفت في فزع إلى زميله العجوز فيجده تحول إلى فتاة شابة فاتنة الجمال،

فيفهم أنه قد تم تغيير شكلهما في الدنيا بحيث يَستحيل عليهما العودة لحياتهما الأولى، حتى لو عرفته زوجته وابنه، فلا يمكن أن يتحملا قُبحه وشَيخوخته، لقد مات بموت جسده.

في الدنيا لا يستطيع الإنسان إلا أن يتعامل مع الجَسد والملامح، مع الظاهر، ولا نستطيع التعامل مع الباطن إلا بُجهدٍ نفسي وروحي عميق وشاق.

الظاهر هو لغة الحكم والتعامل في الدنيا، إن أدخلنا الباطن في قاموس التعامل، اختلط الحابل بالنابل، وسالت قيم الخير والشر مندمجة بلا تمييز، لهذا لنا الظاهر والله أعلم بالبواطن.

في الامتحانات الدراسية توضع أرقام جلوس ويُحجب تماماً أي معلومة عن الطالب، وإلا «فنحن لا نحب الكوسة».

في اختبارات القبول بالكليات والوظائف، لا يُقبل المُتقدم إلا على أساس المؤهلات المطلوبة، لو تدخلت الوسائط والمحسوبيات، لفقد الاختبار جوهره وعُد ديكوراً لقبول أولاد المحاسيب.

كلنا في اختبار الدنيا، ندخلها عرايا، ثم نتحلى بعوارض الدنيا؛ التي تجعل لنا مراتب وتَصانيف وألقاب ومُمتلكات، ثم نُغادرها عَرايا وقد خُلعت تلك العوارض عنا.

وأعمالنا هي أظهر وأوضح ما يصدر عنا، فإن تَلونت تلك الأعمال بالعوارض، كانت الأعمال كما يقولون:

«كلام الملوك ملوك الكلام»

«وكلام الحرافيش حرافيش الكلام»

كل هذا التمهيد كان لتأكيد وسيلة وحيدة عندي لتقييم الناس، لا أرضى أن يحل محلها وسيلة أخرى؛ فعندما أحكم على شخصية؛ أنصّبها أمامي «وجها بلا ملامح»، وليس المقصود ملامح الوجه فقط، بل يتحول الإنسان إلى شخص مجرد نكرة لا تاريخ له عندي، ثم أرصد أعماله وأقواله مجردة، دون حُكم أو انطباع مُسبق.

جعلت مثال تجربتي أشرف الخلق «النبي ﷺ»، فنظرت إليه كإنسان فقط، جردته من كل العوارض الدنيوية التي تُنسَب للإنسان، واستعرضت سيرته كاملة كإنسان مثلنا، ثم بعد ذلك تساءلت: هل هذه سيرة نبي يوحى إليه؟ سيرة من هو رحمة للعالمين؟ سيرة رجل على خلق عظيم؟ هل هو النموذج الأعلى في كل شيء؛ فكان الإنسان الكامل؟ هل يوجد أي تناقض بين القول والفعل في أي مسار في سيرته؟

وهكذا أظل أتساءل وأتساءل؛ وأجيب وأجيب بلا حدود.

وعندما اكتفيت، انتهيت إلى أنه حقا الرسول الذي وصفه القرآن الكريم، فجددت إيماني به وبرسالته وخلعت عليه ثانية، كل ما يَستحقه من مؤهلاته كخير البشر وخاتم المرسلين، ثم انطلقت بإيمانٍ أعمق وأرسخ وأكثر اطمئناناً.

هذه هي طريقتي في الحكم على الناس بمختلف درجاتهم، فلا يصح مثلاً أن نأتي برجل يدعي أنه حاصل على الدكتوراة ثم نبني الحكم على كل إنتاجه بناء على شهرته كدكتور بروفيسور، بينما لم يقدم أي دليل على هذه المؤهلات العالية، فننسب كل إنجاز له إلى مؤهل ربما يكون مشبوهاً، فنؤمن بالباطل ونعتقد الأوهام.

إن وضع هالة على الشخصيات ثم الحكم عليها تجعلنا نخلط بين الخير والشر، ونستعير كل المبررات لتبرير ما لا يُبرر إلا بالتناقض والتخلي عن الثوابت.

لنجرب تلك النظرية مع أي إنسان وسوف يَخف الخلاف والاختلاف، ففي تلك النظرية عَزْلا للأهواء وطَرحاً للتعصبات، لكننا لا نفعل ولا نريد أن نفعل.

﴿وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[النحل: 118].

ومن يُصر على إتباع الهوى؛ فليتذكر الآية الكريمة:

﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم ﴾ [العنكبوت: 25].

فمن يتعصب لمذهبه أو طائفته أو عِرقه ثم يَعمى عن الحقائق المجردة فهو يفعل ما حذرت منه الآية الكريمة، ينحاز للمودة بين أهل مذهبه على حساب الحق ثم يوم القيامة سوف تتبدل تلك المودة.



13. دين كالماء

الإسلام هو دين العالمين وخاتم الأديان.

– عندما يُعَرِّف دينٌ نَفْسَه بِلَقبِ «دين للعالمين»...

– عندما يُعَرِّف دينٌ نَفْسَه بِلَقب «خاتم الأديان»...

فلا بد وأن يَتصِف بِصِفَة جوهرية وهي أن يكون مثل «الماء»؛ يوضع الماء أمام كلِ الناس، فيتناوله من يَشْعُر بالظمأ بلا تردد.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [الفرقان: 54].

والفطرة كالماء؛ فإذا قدمت للناس ماءً ذا «لون أو طعم أو رائحة» يَحترس الإنسان، ثم يُحْجِم عن تناوله، لأنه وجد فيه مادة غَيرت من خصائصه، وبالتالي غَيرت من اسمه مُجرداً، فلم يعد الماء الذي عادة ما يتناوله الناس بلا تفكير وبدون حَرَج.

الإسلام دين العالمين أي أنه يصلح لكل الناس، وهو خاتم الأديان أي أنه النموذج النهائي لرسالة الله للبشر؛ فلا يَنْتظر الناسُ مُلحقا لتلك الرسالة، لذا يجب أن يُقدم الإسلام للناس مثل الماء.

الإسلام حين يُقدم بِصبغة عربية لا يُصبح دينا للعالمين.

الإسلام حين يُقدم بِصبغة إيرانية لا يُصبح دينا للعالمين.

الإسلام حين يُقدم بِصبغة هندية لا يُصبح دينا للعالمين.

الإسلام حين يُقدم بِصبغة طالبانية لا يُصبح دينا للعالمين.

لذلك فإن التحدي الذي يواجهه المسلمون اليوم هو أن يُقدموا الإسلام فقط، بلا تَحلية أو تلوين أو تكثيف أو تركيب، يبحثوا عنه، ويرشحوا ماءه ويخْرِجوه كما أنزله الله، حتى تحدث المعجزة ثانية كما حدثت أول أيام الإسلام.

لنتخيل معا قطيعا من الغزلان يَرقبوا شبحَ حيوان قادم من بعيد، تتبين ملامحه كلما اقترب منهم، وهم وقوف يَنظرون في حَذر، ماذا لو تبين لهم أن من يقترب منهم له مَلامح أسد أو نمر؟

بالتأكيد سوف يَفِرون منه بأقصى سرعة لديهم، وما الحال إذا ما تبين لهم أن من يقترب له ملامح غَزال مثلهم؟ بالطبع سيزول التوتر وسيقبلوه بينهم.

كذلك هو الإنسان حين يُعرض عليه دين يحمل ملامح غير إنسانية؛ فلا بد أن يَنفر منه بلا تردد، أما حين يُعرض عليه دين يحمل ملامح الإنسانية، فسوف يَستمع له وربما يَستجيب.

للأسف يتساند مفهومنا للدين مع الإعلام المحلي والعالمي الذي يصور الإسلام كوحش نادر الوجود، ليس ماءاً ولكن سما زعافا.

غالب الذين أسلموا وحكوا تجربتهم حدث لهم تفاعل اجتماعي وإنساني مع مسلم في ظروف خاصة وفريدة، يعرض المسلم عليهم الفكرة في وقت يكون لديهم استعداد وتقبل نفسي أو روحي أو فكري، إن عَرض عليهم الدينَ في تلك اللحظة معقداً أو مشوهاً أو صادماً لبديهياتهم الإنسانية فسوف يرفضوه، وسيظلوا على موقفهم الرافض لبقية حياتهم.

الناس في عمومهم لا يحملون نفساً شكوكية بحيث يجعلوا من همُهم الأول البحث عن الحقيقة، فالذي تعرض عليه فكرة دينية يقبلها أو يرفضها، ثم يستمر في الحياة.

وكما أن الماء هو المشترك بين كل الناس ولا يمكن أن يلتبس عليهم التعرف عليه، فلا بد أن يكون الدين الذي هو رسالة الله للناس كالماء، وعندها سوف تكون فرصة تقبل الهداية أقرب للنجاح.

عندي طريقة للحكم على أصالة وصلاحية أي فكرة تُنسب للإسلام، وهي أن أعمم تلك الفكرة على البشر في كل الأرض، حيث أن الفكرة كي تُنسب للإسلام لا بد وأن تكون صالحة لكل البشر، وتَتماشى مع حقيقة ختام النبوة.

فمثلاً فكرة النقاب؛ الإمام الشافعي يرى جواز كشف الوجه والكفين، وهناك من يعتبر النقاب واجبا وهناك من يعتبره مكرمة، أما أنا فأعتبره حريةً وقراراً شخصياً ولا يجب أن يتدخل فيه أحد.. هو قرار الإنسان.

وحين حاولت أن أُعَممه؛ وأتخيل أن نساء الأرض جميعاً قد ارتدوا النقاب، هل تستطيع تخيل أن تسير الحياة طبيعية وسهلة في كوكب الأرض؟ هل يسهل تقبلها أسريا وعائليا؟ هل يسهل تقبلها مجتمعياً وفي العلاقات المختلفة؟

هل يسهل تقبل كوكب الأرض، ونصف المجتمع بوجوه مسفرة والنصف الآخر بلا ملامح؟

هل سيصلح الكون بتلك العقلية الجنسية الحساسة التي تضع حواجز في كل متر في الأرض؟

بإجابتك سوف تعرف هل هذه الفكرة من الماء الصافي، أم أنها فكرة مضاف إليها بيئة عربية أو صحراوية أو إسرائيليات.

مثال آخر.. العقائد..

معاقد الإيمان المذكورة في القرآن الكريم هي:

«الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والقدر خيره وشره»، وكل نبي أُرسل إلى قومه قال: « أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره».

مع تكون الإمبراطورية الإسلامية والاختلاط بكافة الأديان والطوائف والفلسفات، تكونت إجابات وتفسيرات عقائدية خرجت من رحم التفاعل مع العقائد الأخرى، والنتيجة أن أصبحت العقيدة كتابا له متن كبير، فهل يسهل على كل إنسان في الأرض أن يفهم ثم يعتقد كل ما ورد في كتاب العقائد الغزير الصفحات والذي يتحدث عن خَلق القرآن والصفات والإستواء ورؤية الله وكافة بقية سلسلة (**أعتقد**)؟

وهل يمكن لمن لا يعرفون العربية كلغة وبيئة أن يَحملوا جميعهم عبء هذه العقائد بتفاصيلها؟

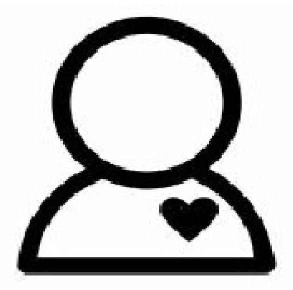
الإجابة عن هذه التصورات تعطيك وسيلة لكشف ما أضيف للماء وليس أصلا فيه.

إن هذه العقائد قد نشأت لضرورة تاريخية لم تعد موجودة اليوم، ليس معنى كلامي أني أريد إلغاءها، ولكن ما أقصده أنه لايصح أن أمتحن المقبل حديثاً على الإسلام بها.. يقول محمد أسد:

«إن فكرة أن أوامر القرآن الكريم قصد بها العرب المعاصرون للوحي، لا نخبة جنتلمان القرن العشرين، بخس شديد لقدر النور النبوي، لا بد من إحياء عقيدة أنه دين العالمين وخاتم الأديان، فعلينا

أن ننفض عن الشريعة تلك الطبقة الكثيفة من التأويلات العرفية التي تراكمت خلال العصور».

لأن تلك العقيدة هي التي سوف تجعلنا نحرص على أن يكون دين كالماء.



14. خاتم الأخلاق

«أصالة البضاعة ليست السبب الوحيد لقبولها، لكن الأهم هو ما تمنحه هذه البضاعة للناس، والدين الأصيل يظل مرحباً به طالما أنتج سلاماً وأخلاقاً وسهولة للحياة، فإن تشوه إنتاجه زهد فيه الناس».

في إحدى المَسْرحيات الكُبري التي تُعتبر من افتتاحيات عصر التنوير، حُكِمَ علي أحد اليهود بالإعدام في إسبانيا، ففر الى بيت المَقْدس، وكانت تحت يد المسيحيين، فقالوا له سنقتلك أو تصبح مسيحيا، وأثناء سير الإجراءات لتنفيذ قتله، فتح صلاح الدين بيت المقدس، وعفا عن الجميع.

وقف اليهودي ومعه القس الذي خيره بين المسيحية والقتل، بين يدي «صلاح الدين»، سأل صلاح الدين اليهودي: أي الأديان أفضل؟.. وكان ينتظر أن يقولَ اليهودي:

الإسلام.. لأنه أنقذه من القتل وفي نفس الوقت أمر بالعفو عن الجميع.

لكن إجابة اليهودي كانت مختلفة، فقال:

يا سيدي سأروي لك قصة؛ كان لأب ثلاثة أبناء وعنده خاتم، من يلبسه يُصبح صالِحا وخَلوقا، وعندما حَضرت الأب الوفاة، فكر أنه خاتم وحيد وله ثلاثة أبناء، فإن أعطاه أحدَهم غَضِب منه الآخرون، فطلب من أحد الصناع أن يَصنَع خاتَمين شَبيهين بالخاتَم الأصلي السِحري، فأخذ الأبناء الخواتم وهم يعلمون بوجود خاتَم وحيد أصلي من الثلاثة، وبعد وفاة الوالد؛ اختلفوا في إدعاء مِلكية خَاتم الأخلاق الأصلي، ودب بينهم خلاف شديد وكادوا أن يَقْتتلوا، فذهبوا الى القاضي ليَحكُمَ بينهم.

فقال القاضي: امضوا لمدة سنة بين الناس، ثم يَحْكم عليكم الخلقُ من أفعالكم، فمن عدم الأخلاق لن ينفعه أصالة الخاتم أو زيفه.

شاهدت أكثر من فيلم أميركي يُظهر فيه الهندوسي كشخصية ملائكية، أذكر منها فيلم «مدينة الأشباح»؛ حيث يظهر فيه طبيب الأسنان الهندوسي وهو يقوم بتعليم زميله الأمريكي الحائر والضال، كيف يكون مُحبا للناس ومُراعيا لمشاعرهم؛ وكيف يكون مشاركا لهم في أفراحهم وأحزانهم؛ ويُوبخه على حياته الأنانية النافرة من الناس.

وفي فيلم آخر يتحدث الطبيب الهندوسي بكل رحمة وحنان مع الطفلة الأمريكية المصابة بالسرطان، ويقول لها في موقف مؤثر:

«لو أستطيع أن أحمل عنك هذا المرض وتَشفي أنت، فسوف أفعل»، ثم يرشد الطبيب الهندوسي والد البنت الحائر، كيف يتعامل بإيمان وروحانية مع مرض ابنته.

وفي المقابل، أجد الإسلام في الأفلام الأمريكية يَحشر المسلمَ دائما في صُور شديدة السوء، هذا التشويه للإسلام أصبح من روتين الأفلام الأمريكية، ففي جانب؛ هناك تركيز على الدين الهندوسي كدين السلام والرحمة، وتقديمه كدين بديل للمتدين الأوربي.

وفي الجانب المقابل هناك تركيز على تقديم الدين الإسلامي كدين الشر.

في إحصائية شهيرة رصد الباحثون أن؛ أكثر الأديان انتشاراً في أوربا وأمريكا هما «الهندوسية والإسلام».

وقد قالوا تحليلاً لتلك الظاهرة أن الجاذب للدين نادراً ما يكون البرهان العقلي، بل هو مقدار الرحمة والسلام والحب والأمل الذي يُقدمه الداعي لهذا الدين.

و تشترك الهندوسية مع المسيحية والإسلام في أنهم الأديان التي من عقيدتها الدعوة لهم كدين.

لكن في الهندوسية كم من التسامح كبير؛ فليس لها موقف معاد لأي دين آخر، ولهذا تجد العائلة الواحدة قد يكون بها

مسلم ومسيحي وهندوسي، ولا يبث أحد بينهم أي رياح تمييز أو تحامل، لهذا تنتشر سريعا في أوربا وأميركا بسبب التسامح والروحانيات.

بينما ينتشر الإسلام أيضا لأنه يحتوي على السلام والبرهان والرحمة، ولكن ينجح في نشره من يُحسن عَرضه على الناس؛ هذا الانتشار يُكَدر الساسة الأوربيين والأمريكيين، فقد أدركوا أن الظاهرة تَحدث بالفعل ولا سَبيل لوقفها، ولهذا فأقل الخسائر؛ هي أن يتحول أبناءهم إلى الهندوسية بدلا من الإسلام.

والدرس الذي نعيه هنا؛ أن المسلمين لا بد من أن يَستخرجوا ويَبعثوا الجانب الإنساني والتسامحي والعالمي في دينهم، وأن لا يستدعوا الفتاوي الخشنة والجافة ويجعلوها في المقدمة، وخاصة الفتاوي التي تعزل المسلم ولا تجعله يتفاعل مع الآخر، والتي تصد عن الإسلام وتُفوت فرصة عرضه كهداية للناس، وإلا سيهربون إلى هندوسي يعطيهم جُرعة من الخُرافات الروحية والتمارين الصوفية مَمزوجة بروح التسامح والتعايش مع كل الناس.

قال الله تعالى:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤ ﴾[القلم: 4].

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[الأنبياء: 107].

قال ﷺ

«إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق»



15. شخص استثنائي

«البطولة هي أن تقدر على الخيار «لا» حين يختار غالب الناس «نعم»، حتى لو أَشْهَرَ في وجهك كل صاحب «نعم» صكاً زائفاً بالمشروعية.

في إحدى الرِحلات إلى أوروبا والتي قام بها فارس بريد الأهرام «عبد الوهاب مطاوع»، قابل شباباً مصريين سافروا للعمل في مزارع فرنسا، وكان من بينهم شابٌ ورَدَ ذِكْرَه على لسان كلِ من تَحَدث مع «مطاوع»، فقابله وعرف منه قصته.

كان الشباب كلهم يعملون بالمزارع الفرنسية عن طريق رئيس عمال كوسيط، والمعتاد أن يتم الاتفاق مع كل عامل على راتب محدد، يقوم الوسيط بالاستيلاء على نسبة كبيرة منه، وتقبل كل الشباب هذا الأمر بلا مُقاومة أو حتى شَكوى؛ إلا «صلاح».

كان المبلغ المُتبقي من الراتب للشباب بعد الخصم لا بأس به، يَكفيهم ويُرضيهم، وإن فكر أحدُهم في التَمرد؛ سيكون البديل هو الطرد ثم البَطالة، وهذا يعني المُعاناة الشديدة واللجوء لذُل الاقتراض،

بل والعودة بالخيبة والخسران، والكل مُنغمس في نفسه ومكتف بِحالِه وهُمومِه، والغُربة تتزامن مع الضَعف النفسي، وربما الأخلاقي.

تَرَفّع «صلاح» عن كل المخاطر التي تَلوح له كثمن لرفضه، لم يَنظر للمال، بل نَظر إلى كرامته، كيف يَقبل أن يَسرقه شَخص عن طِيب خاطر منه؟ هذا مبدأ، لن تَضطره الحاجة وقَسوة الغُربة أن يَتنازل عنه، هكذا رباه أهلُه؛ على رفض الضَيم والظُلم.

اقْتَرَضَ.. تَحمل البطالة.. تَغلب على قَسوةِ اللوم بسبب تَخلفه عن أقرانه، صَمَد أمام التوبيخ واللوم من دعاة التثبيط من الشباب المنبطح، وهو وحيد بينهم، ولكنه في نهاية الأمر، ولظروف دَبرها الله تعالى؛ وَجَد من يَقبل أن يَعمل عنده دون أن يَسرقه.

عاد الجميع لمصر بعد انتهاء الأجازة، وعاد معهم «صلاح»، الذي استحق أن يَجلس معه «مطاوع» وأن يُسجل قصته بفخر.

هذه القصة من أروع القصص التي نخرج منها بالعبرة التائهة عنا منذ زمن بعيد.

العبرة التي يَحتاجها كل الناس اليوم.. فما مصدر روعتها ومناسبتها وضرورتها لحالنا؟

هذا الشاب اتخذ موقف الثبات على المبدأ، مغايراً لما اتخذه كل الشباب، تَغَلب على مخاوف أن يعود فاشلاً.

لو قامت نسبة لا تتجاوز الـــ0.01٪ من الناس باختيار نفس الموقف الذي اتخذه صلاح؛ لتغيرنا جميعا إلى حال لا يخطر ببال ولا تَبلغه الأحلام.

هناك الآلاف من المصريين باستثناء «صلاح».. قبلوا العمل ودفعوا الإتاوة، وبالتأكيد صلتهم بالدين متفاوتة، ربما فيهم من لديهم التدين الذي يفوق ما لدى «صلاح»، مع أن «مطاوع» لم يُشر أي إشارة لالتزام «صلاح» الديني، والسؤال هو:

هل كان (صلاح) حَنْبلياً في إصراره على الرفض والالتزام بمبدأه؟

هل موقف «صلاح» صحيح؟ بينما موقف جميع المصريين خطأ؟

أم العكس؟ أم كلاهما صحيح؟

ما موقفنا من المفاسد والمظالم التي تنالنا مباشرة؟

أو التي نعاينها أمام أعيننا يومياً؟

ما موقف العلماء والمثقفين من تلك المفاسد والمظالم؟

هل نتعامل مع الظلم والفساد والمظالم وكأنها من طبائع الأشياء؟

للأسف هناك نماذج كثيرة لفتاوي انهزامية، تُعلن خُضوع الدين للواقع الشرير والفاسد، عندما يكون في لحظة طغيان.

تَصدر فتاوى تَقوم بتمييع الدين وإعطاء الواقع ختم صلاحية، بدعوى أنه تصريح مؤقت؛ كمقدمة ليكون وضعا دائما مُستساغا وربما مُقدسا؛ فيما بعد.

من أخطر الفتاوي التي سار الجميع عليها في العقود المَاضية، والتي أصدرها علماء لهم قيمتهم ومكانتهم التي لا يُجادِل أحد فيها، فتوى محتواها «أنه في حال انتشار الرشوة في المجتمع، وعدم تمكنك من الحصول على حقِك الذي لا يُشاركك فيه أحد، وحينما لا يتوفر أمامك سِوى دَفع الرشوة، فلا مانع أن تدفعها لتحصل «فقط» على حَقك المحجوز عنك.

هذه الفتوى تَقَبلتها شخصياً في شبابي، وتلقاها المجتمع براحة قلبية، ونظرنا إليها كمرونة في الدين واتساع أفق، فقد كان مُصْدروها وناقلوها شباب لهم مرجعية ومظهر إسلامي، وقد شاركت مع الكثير في ترويج تلك الفَتوى.

هذه الفتوى أراحت ضميرَ الناس وأعْفَتهم من مقاومة الرشوة وبقية صُنوف الفساد والظلم، بل وجعلتهم يساهمون في نَشرها وتَبريرها وتَرويجها في المجتمع، ولقد فتحت تلك الفتوى الباب لأخواتها من الفتاوي التي تَحني جبهة القيم والمبادئ الدينية والأخلاقية أمام الفساد الطاغي.

ومن وارب باب التنازل فلن يستطيع منعه من الانفتاح على مصراعيه.

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ ﴾[المائدة: 78].

وبهذا نحن على عكس مراد الإسلام، بدلا من أن نَحُث الناس على مقاومة الفساد ومَنع انتشاره، وبدلاً من تعريف الناس أن مُقاومة الفَساد والرِشوة يَدخل في مُقدمة أبواب الجهاد المجتمعي؛ وأن الجهاد لا يقتصر على الجهاد بالسلاح، قمنا بتبرير الخطيئة وتمرير مرض اجتماعي خطير ينبعث منه أمراضٌ أشد خطورة.. فالخطايا تتفرع منها أخواتها من الخطايا.. والطاعات تتفرع منها أخواتها من الطاعات.

الغريب أن هذا التساهل المريب والساذج في الخضوع لفساد المجتمع، قابله تَشدد في مجالات أخرى مظهرية، في دلالة واضحة على اختلال المعايير.

نحن نتناقض دون أن نشعر.

ما موقفنا لو رأينا الظالم والفاسد يفطران في نهار رمضان؟ أو يقولوا أقوالَ العلمانيين أو الطوائف الأخرى المنافِسة؟

ألن تحمر أعيننا وتزرق خدودنا وترتفع حواجبنا؟

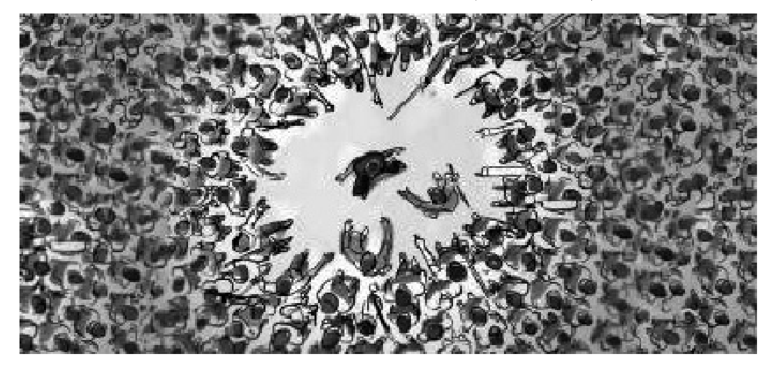
لماذا لم يَنتبه أو يُنَبِّه «الشيوخ والمثقفون والنخبة» إلى رفض الظُلم أو الإهانة أو الفَساد؟ لماذا جعلوا البطولة فقط في التمسك بقشريات ومظهريات؟ لماذا جعلوا دماءنا تفور لضياع الأقصى الشريف؟ ولا تفور أيضا؛ لضياع الكرامة وإهانة الإنسان؟

أليس الإنسان الكريم هو الذي سيحرر الأقصى؟ أليس هو الذي سوف ينشر ويحمي الدين والأخلاق؟ أم هذه مهمة الإنسان المُهان المسلوب الكرامة؟

الذي يقدر على نصرة الدين هو الإنسان الحر، الكريم، الخليفة لله حقاً، الإنسان مرفوع الرأس، الذي يأبى أن يتعايش مع الظلم، لا الذي ينحني لكل ريح، فيظل عمره كله ينحني وينحني؛ حتى تلامس جبهته الأرض ويجد نفسه منتهياً ساجداً للبشر طوال العمر.

وفي نفس الوقت يغتر بسجوده في الصلوات الخمس، بينما يسجد للبشر بروحه وفعله، ويسجد لله بجسده فقط.

لا بد أن يكون الأصل هو «صلاح»، لا الذين يمشون وراء القطيع السائد، أو الذين يحتمون وراء فتاوي ملتوية، فتاوي واستشهادات، تُبرر قبول الظلم وتُهونه في الضمير، وتُثبط عن التصدي له.



16. لستُ أنا

«كلُ إنسان يتبرأ مما ارتكب في الماضي، بدعوى أنه كان في مرحلة البراءة، ولم يكن مكتمل الوعي والضمير والخِبرة، ولهذا يقول: «لستُ أنا»، فهل يقبل أن يكون الآخر أيضا؛ ليس هو؟»

في الفيلم الشهير «المشبوه» بطولة «عـادل إمـام وفـاروق الفيشاوي»، يدور حديث بين الشُرطيين «الأب وابنه»؛ الابن يَضع كل فِكره وجُهده لتعقب اللص الذي فر منه واستولى على سلاحِهِ (الميري)، الإهانة عميقة وفاضِحة.

يقول الأب:

«أنا لا أقول لك اتركه، لكن لا تتعامل مع الموضوع من مُنطلق شَخصي، ثم يَحكي الأب الشرطي المتقاعد:

«كنتُ مِثلك أطارد لصاً، فر مني بعد أن أطلَقَ علي النار، نالني جُرح سَطحي، ظَللت أبحث عنه سِنين طويلة حتى قَبضتُ عليه، وأنا أضع القيد في مِعصمه؛ ناولته عشرة جنيهات».

تعجب الابن قائلا: لماذا؟

قال الأب: «لأني لم أجد معي مزيدا من النقود لأعطيه، فقد رَثيت لحاله وأشفقت عليه».

قال الابن: كيف؟ .. ومن إجرامه أطلقَ عليك النار!

قال الأب: «بل من يأسه!!»

عندما يغيب الإنسانُ أعواما عن العين، ثم يعود وقد تغيرت ملامحه وكَبر سِنه، وانتقل من مرحلة عُمرية لأُخرى، تتملك الدهشة كل من يراه بعد تلك السنين، لأن الإنسانَ يظل محتفظاً بآخر انطباع وآخر مَوقِف وآخر صُورة.

الشاب يَظل في الخيال شاباً وسيماً حتى لو مرت عُقود..

الوغدُ يظل وغداً أمام الناس من تجربة وحيدة، ما لم يُتبع هذه التجربة بأخرى تغير من هذا الانطباع..

النبيل يظل نبيلاً أمام الناس من تجربة وحيدة، حتى يخوض تجربة أخرى تؤكد نبله أو تنفيه..

الحوار السينمائي يهدينا حكمة بليغة؛ أن «الإنسان لا يكون هو نفس الإنسان طالما يدور في عجلة الزمان وماكينة التجارب»، فأغمض عينيك وانظر داخلك.

وأنت طفل.. صبي.. شاب.. رجل أربعيني ناضج.. شيخ؛ هل ترى نفسك شخصاً واحداً مطابقاً عبر السنين؟

هل ترى نفسك وقد نحتتك السنون فطَرحت منك وأضافت لك؟

هل لاحظت أنك في كل مرحلة؛ يسكنك بعضٌ من تلك التي قبلها؛ ويضاف إليك من التي تليها، وأن عجلة النُضج تَعمل باستمرار فيك؛ فتَطرح وتُضيف في كل المراحل؟

أي الشخصيات أنت؟

أي الشخصيات تريدنا أن نحكم عليك منها؟

أي الشخصيات تريد أن يحاسبك الله عليها؟

لو تمكنت من سؤال كل الناس عن فلان في مراحل عمره المختلفة، لسمعت العَجَب؛ المدح، الذم، الحب، الكره، التحامل، والتحيز الخ.

والكل صادق.

السر وراء صدقهم رغم تناقضهم، أنهم يُعَبِّرون عن تَجربتهم عند الاحتكاك بفلان، وكل تجربة تترك انطباعاً خاصاً.

لماذا يحاسبنا الله تعالى في الآخرة بميزان؟

الحسنات مجتمعة يمينا والسيئات مجتمعة يساراً، والحسنات والسيئات نتاج تَجارب، ويأتي الحساب على المجموع.

الله تعالى هو وحده من يَعرف جوهر أعمالنا ودوافعها، لهذا قال الله تعالى:

﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧ ﴾[الأنبياء: 47].

هناك من المفسرين من التفت إلى كَلمة «موازين»، وفَسرها تفسيراً ذكياً، فقال:

لكل فرد ميزان يناسب ما أُعْطيَ من نِعم، والله وحده أعلم بها، فصَدقة الغني غير صَدقة الفقير، وأفعال العالِم غير أفعال الجاهل، وخوف القوي غيرَ خوفِ الضعيف، وميزان اليتيم الجائع والخائف غير ميزان المتمتع بالأمن والشَبع في كَنف والديه.

التفاوت لانهائي في إمكانات وظُروف البشر، والله هو العدل، وله الأسماءُ الحسنى، يعلم أن الناس في اختبار الدنيا قد نالهم من النصيب ما سوف يُستخدم كأدوات للإجابة على امتحانات الدنيا.

وباختلاف النصيب تَختلف الموازين، كبصمات أصابع يد الإنسان.

يقال: «ضربة القوي مؤلمة، وضربة الجبان مميتة «.. ويقال أيضا: «قسوة الجبان»، فالجبان يعرف أنه إن أفلتت ضربته سوف يُقضى عليه، فيجمع في ضربته كل القوة والقسوة.

أما القوي فيثق في قوته، ويعلم أن لديه فرصاً أخرى إن طاشت ضربته، فيضرب ليؤلم فقط.

أنت لا تعرف الكهف المتشابك والمؤلم والضَبابي الذي بداخل الإنسان وينبعث منه ردود أفعاله.

إننا نطلب من الناس أن يحكموا علينا بنياتنا حين نخطئ، بينما نحكم عليهم نحن بأفعالهم ونتجاهل نياتهم.

في الحوار السينمائي قال الشرطي الشاب: « أطلق النار من جرمه».

وقال الشرطي العجوز: «أطلق النار من يأسه».

الأفعال التي تصدر عنا تخرج بقوة معنوية مجهولة ينذُر من يفهمها؛ الخوف، الفزع، اليأس، غلبة الشهوة، الحرص، الجوع، الفقر، الجشع، الحب، الكره، التحامل.. مئات من العواطف الكامنة وراء كل الأفعال، حتى تلك الدوافع كلها تختلف كماً وكيفاً، بل ويختلف أثرها بِحسب من يخضع لها.

مسكين أيها الإنسان، فالامتحان شديد الصعوبة، وأقسى الناس على الناس هم الناس، قسوة وأنانية وبلا فَهم، ومع ذلك فالجميع يرجو من الله رحمة بلا حدود.

في مقابلة تليفزيونية مع أشهر الكهنة الذين خَبِروا الاعتراف من الشخصيات الشهيرة في العالم، سأله مقدم البرنامج:

- ما الذي خرجت به من كل ما سمعته من اعترافات؟

= خرجت بأن الكل مساكين.

نعم الكل مساكين، فلنستدعِ العذر والاعتذار.. من تجاوَز يعتذر ومن وقع عليه التجاوز يعذُر.



17. الخشوع

في شَبابي كُنْت أقرأ وأطارد الخُشُوعَ في الصَلاة، أُحاول أن أسْتَدْعيه، عند صَلاة الجَمَاعة أو مُنْفَرِداً، أُقَلِص وأقْبض بِعَضلات جَسَدي وفِكْري، أستجمع نفسى لتدبر القرآن في صَلاة جَهرية أو سِرية، أسْتَحضر معنى الكلمات وأسير مع الآيات، ثم سُرعان ما أنزلق بخواطري، فأسبح فيما يَغْمرني من خَطَرات من شريط الذكريات.

زمن طويل لم أفهم السر في هذا الفشل السريع في مُعظم مُحَاولاتي، ثم اكتشفت أنني مثل من يبذل مجهوداً جسدياً وذهنياً، في مَحَل يتطلب مَجْهوداً نَفْسياً وروحياً، لأن حل المسألة الحسابية ليست بعضلات الجسد بل بِعَصر الذِهن.

بلوغ الخُشُوع لا يأتي بِقَبض عَضَلات الجَسد أو إثارة الذِهن؛ بل بفتح مسام الروح لينفذ منها نفحات من خالقها وواهبها، بممارسة الخُشُوع لله في الحياة، كطريق للذوبان خشوعاً في الصلاة.

ويُذَكرني هذا بابنتي وهي طِفلة حين قُلت لها أمسكي نفسك، فقبضت بيديها الإثنتين على ملابسها بقوة، فأضحكتنا كثيراً.

الخُشُوع لا يُستحضر، بل هو حال، يُثْمره الخُشوع والورعَ في الحياة، فيكون القلب صالح المحل لهذه الحالة الإيمانية، الخشوع هو مقدار استحضار عظمة الله في حياة الإنسان، كلما خشعت لله في حياتك، عبادتك ومعاملاتك، كلما تخللك الخشوع وقت الصلاة ووقت الدعاء وفي كل وقت.

الذي ألهمني من زمن تلك الفكرة هي الأيات التي تقول:

﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ١٩﴾[القيامة: 19-16].

الله سبحانه وتعالي أعفاه ﷺ من هم حركة اللسان ومحاولة التذكر والحفظ والبحث عن المعاني، ومن أخشع من الرسول ﷺ؟ ! الذي لا يغادره الخشوع ساعة ويعود ساعة، بل في حالة خشوع مستمر، فمن مثله لا يَستدعي الذاكرة أو البيان والفهم، فالمحل خال تماما لتلقي كلام الله ومِنَحه، أما نحن فعلينا أن نتحرر مما ليس بأيدينا، ونتقي الله في حياتنا ونعامله وحده قدر استطاعتنا، وسوف نصبح خشوعاً يمشى على الأرض.

في القرآن الكريم؛

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣﴾[الفرقان: 63].

يمشون وحالهم الحلم والسكينة والوقار غير مستكبرين، ولا متجبرين، ولا ساعين فيها بالفساد ومعاصي الله.

وهذا الحال هو ثمرة الخشوع، خشوع الجسد والقلب، فلا يتخلل القلب حلم ولا سكينة ولا وقار ولا تواضع إلا وظهر على الجسد الذي يمشي على الأرض.



18. الأصل في الأشياء الإباحة

هناك قواعد كبرى بُني عليها الاجتهاد الإسلامي في صدره، وكانت سببا في فتوة الحضارة الإسلامية المثير للإعجاب. وكان التخلى عن مثل تلك القواعد من أسباب تسرب التخلف والضعف إلى الحضارة الإسلامية.

في المملكة العربية السعودية في بداية عهدها، أراد الملك عبد العزيز آل سعود «رحمه الله» إدخال البرق إلى البلاد، اعتبر بعض العلماء أن ذلك من وسائل الشيطان، مثلها مثل الصناعات الحديثة كالسيارة والمذياع وحتى الساعة، ثم حدثت تطورات قوية انتهت بانتصار الملك وبداية حركة التحديث.

عندما بنى محمد علي الكبير مسجده الشهير بالقلعة وزوده بالمواسير والبزابيز «الصنابير» للوضوء بدلا من طريقة الوضوء السائدة فى ذلك الوقت، والتى كانت عبارة عن الطاسات والأكواز.

وكان للشافعية السيطرة على أعمال السقيا ولهم فيها مصلحة كبيرة، فعارضه الشافعية ومن ورائهم «الحنابلة والمالكية»، لكون هذه الأشياء بدعة فى الدين، حيث أنهم لم يعلموا عن السلف فى بلاد المسلمين استعمال هذه الطريقة، مستندين إلى الحديث الشريف «كل بدعه ضلالة وكل ضلالة فى النار».

لكن علماء الأحناف لم يحتاجوا إلى كل هذا الوقت لتقرير موقفهم من الصنابير، ورأوا جواز الوضوء من هذه الصنابير لأنها ترفع المشقة عن المسلمين.

ومن هنا سمى الصنبور بـ»الحنفية، نسبة إلى المذهب الحنفى، وأصبحت كلمة «الحنفية» دالة على الصنبور، أكثر مما تشير إلى المذهب الذى لولا استنارته لكنا مازلنا نستعمل الكوز.

في الخلافة العثمانية حُرّمت المطبعة قرناً كاملاً ويقال أكثر، والسبب هو أن الوراقين كانت مؤسسة يعمل بها مئات الآلاف من الناس، فكانت المطبعة قطعاً للأرزاق، فحرموا بلاد الخلافة كلها من المطبعة وما تمثله من تحديث.

في هذه الأيام نجد كلمة أصبحت شهيرة بين المسلمين»الأصل الشرعي» لحب الوطن، الأصل الشرعي لفعل كذا وكذا» وكأن الأشياء الفطرية تحتاج تأصيلاً شرعياً، ولو رجعوا إلى القاعدة الأولى وهي أن الأصل في الأشياء الإباحة، لما أصبحت الإعاقة والتخلف هما الأصل.



19. عضة كلب

هناك كثير من المواقف في الحياة لا تستطيع إلا أن تتعامل معها كَقَدَرٍ لا يُرد.

أتذكر فيلماً سينمائياً، يحكي قصة زوج اكتشف ليلة الزفاف أن زوجته ليست عذراء، كانت ليلة العذاب والحيرة؛ وبعد صراع مؤلم وعنيف مع نفسه، توصل لقرار أن يُكمل حياته معها، لكنه لم يغفر لها، عاش معها يمارس ضدها السادية، يُذكّرها ويعيّرها في كل قول وفعل ونظرة، بتلك الليلة؛ فيجلدها ويجلد نفسه.

القصة تعطى درساً حكيماً لمواجهة دراما الحياة.

كان الشاب أمام خيارين؛ فراق وستر جميل، أو تغاضي ومغفرة واستمرار الحياة، لكنه اختار الخيار الثالث والموارب والجالب للشقاء.

هل شاهدت أحداً ابتلي بعضة كلب، ثم أخذ يعدوا وراء الكلب لينتقم منه؟ أو رفسه حمار فقاضاه؟

العاقل من يذهب إلى المشفى ليعالج جرحه، وينسى الكلب أو الحمار.

العاقل من يتخلص من الكلاب التي تعض والحمير التي ترفس، العاقل الذي يفرح بنجاته.

هناك من يبتليه القدر في حياته، وعن حسن نية، بأناس من هذا النوع «الكلبي»، يعكروا عليه حياته، ويكون أثرهم مثل الحمى أو الوباء الذي يهدد بقية الحياة ويسممها.

كلما طال الصراع معهم كلما زادت المخاطر وطالت المعاناة، مهما فعل الضحية فلن يعوض الخسارة التي لا تقدر بثمن، فقد غُدر به وحدث ما حدث.. الانتقام والإصرار على أن يدفع الثمن هو إصرار على استمرار المعاناة، فقد تعكرت الحياة الماضية، وليس من الحكمة أن تتعكر بقية الحياة.

هناك معارك في الحياة لا يجب السعي فيها وراء الاعتراف أو إثبات الحق من الباطل، فالسعي لإثبات الحق والباطل في المعارك الشريفة والمتكافئة.

أما المعارك غير الشريفة، التي تعض وتهبش الإنسان في لحظة أمان وثقة، فيكون التعامل معها مثل من يتعامل مع قمامة دخلت بيته بالخطأ، أو دخلت بيته بكيد من لئيم؛ كلما مكثت أطول وقت في داره، كلما فاحت رائحتها ونكدت الحياة.

سم الحياة هو النكد الذي يعكرها ويشوهها.. تخلص منه وتنزه عنه وسوف تسلم وتسعد.

20. ثقب الإله

هل الموت هوة عدم؟.. أم باب وجود أرحب وأوسع؟

إن رأيته هُوة عدم فلا عزاء لك؛ فأنت شقي تعاني تمزقاً داخلياً وتناقضاً بين تكوينك واعتقادك؛ الموت ليس عدماً، الموت يحررنا ويعتقنا.

الطفل في رحم أمه يزود بجهاز كامل للتنفس، لو استعمله في الحياة الجنينية في رحم الأم هلك، وبعد الخروج من رحم الأم إلى رحم الدنيا؛ إن لم يستعمل نفس هذا الجهاز يهلك.. الله تعالى الذي خلق الجهاز في المرحلة الرحمية؛ خلقه لمرحلة أوسع من الرحم، مرحلة الحياة الدنيا.

نحن البشر لدينا في الدنيا جهازنا الروحي، الذي يكمن جوهر موهبته وفطرته التفكير في الوجود وفي الموت، ونتساءل باستمرار عن الخلود، ويصيبنا الرعب والرهبة من العدم والفناء.

الحيوانات لا تفعل ذلك.

لدينا ازدواجية، فالشطر الأَنفَس منا لا ينتمي لهذا العالم، ومثلما كان الجهاز التنفسي في رحم الأم لا ينتمي لعالم الرحم الضيق،

فكذلك نحن نمتلك جهازاً روحياً لا ينتمي لهذا العالم، وينتظر لحظة أن يتحرر إلى موطنه الأصلي، وهو الذي يحملنا على التفكر في الموت وما بعد الموت.

يقول مولانا «جلال الدين الرومي»: «منذ نزلت جوهرة الروح والتصقت بصدفة البدن، كان الإنسان الذي صاغه الله من ماء الحياة، ثم بعد أن تكاملت جوهرة الوجود، طارت مخلفة الصدفة وراءها؛ لتستعيد مكانها في درة تاج الملك.»

ويقول أيضًا: «لكي ينام الفيل مطمئناُ، تراوده أحلام أرض الهند، أما الحمار فلا يحلم بالهند لأنه لم يأت منها.. ونحن نحلم بأرض الغيب.. الجنة.. الخلود.. اللا محدود.. الله».

المفكران الشهيران «مونتيسكيو» صاحب روح القوانين و«سارتر» فيلسوف الوجودية؛ سَميّا هذا الشعور والفكر البشري المرغم على التفكير في الموت وما بعد الموت «ثقب الله»؛ ثقب روحي في الإنسان المادي يجعله يتساءل ويتوق.

21. خلي بالك

ذهبت لزيارة أحد أصدقائي، فنادى على ابنته الصغيرة لتحيتي، صافحت الفتاة وأدرت معها حديثاً ودوداً، ثم أسرعت الفتاة إلى الأب لترتمي في أحضانه، فانهال صديقي عليها بالقبلات، بينما هي ساكنة وادعة بين ذراعيه، تستمع إلى غزله فيها وتدليله لها.

نظر صديقي إليّ متسائلاً في فخر:

- هل في عائلتك كلها مثل هذا الجمال؟ رددت عليه موافقاً بحماس، مستبعداً أن يكون لدينا مثل تلك الجوهرة التي بين يديه، ثم انصرفت الفتاة في دلال، وعندما تأكدت من ابتعادها تمتمت لأسمعه:

= صدق من قال «القرد في عين أمه غزال»!

ضحك صديقي في نشوة، وقال لي:

- البنت التي لا تشبع من حضن وحنان أبيها، سوف تكون دائماً جائعة، وقد يعرض غريب حنانه الزائف عليها ، فتكون ضعيفة وهشة أمام إغراءات الخارج، أنا بهذا أشعرها بقيمتها وأعززها، وهذا يعتبر مضاداً حيوياً يعطي مناعة ضد الإغراءات الخبيثة.

بعد أن تركته تذكرت فتاة جميلة وشديدة الذكاء، تشتكي لي دوماً من أختها التي تتسلل إليها وهي نائمة، ثم تقبلها على خدها وتتركها، وتقول لي: يا عمي «أنا أشمئز من تلك العواطف، تصيبني بالغثيان، أشعر بأنها مشاعر لزجة».

فأتعجب من قولها، ويدور بيننا الحديث في كل إتجاه، ثم عندما أنحني بالكلام إلى التحدث عن أبيها، أجدها متحفزة وتلومه بتحامل قاسٍ، فشرعت أفتش عن أسباب هذه المشاعر التي أرى أنها زائفة، فأجد أن أبيها الذي هو صديقي، يعبر عن حبه بالعطاء المادي الكريم، عطاء مستمر وبذل لا ينقطع، وأجدها تستهين بكل هذا، وتعده من طبائع الأشياء التي يكفي أن تقابله بكلمة شكر.

وفي لحظة استسلام تقول لي:

- هل تدرك يا عمي ما الذي أتمناه، أن يضمني أبي إلى حضنه!

بهذا الاعتراف من الفتاة، تعلمت أن العطاء لا يقدر بثمنه وقيمته، فالعطاء لا بد أن يكون مغموساً بالعاطفة الصادقة والمستمرة.

الحرمان المادي قاسٍ على الإنسان، لكنه لا يمكن أن يقارن بالحرمان العاطفي، والأب هو الذي لديه المفتاح لباب العاطفة عند ابنته.

يفتح الباب فتتلقى هي العواطف من الجميع في ترحاب وسعادة، وإن لم يفتح الباب؛ يظل قلب البنت مغلقاً، متوجساً من أي عاطفة، بل وساذجًا؛ لأنها لم تتدرب على يد أبيها كيف تذوق الحب والدلال، ولم تذق حضن الأب الحنون.

22. جُحا لمن يَعي

دخل جحا حماماً شعبياً بِثياب مرقعة مهلهلة، دفع الخدم له فوطة قديمة وبروة صابون «بقية صابونة»، ولم يَخدموه جيداً لاعتقادهم بِفَقره؛ وأنهم لن ينالوا منه مكافأة بعد الاغتسال.. وبعدما فرغ من الحمام وتأهب للإنصراف، دفع لهم ديناراً ذهبياً ومضى، وهم ذاهلون.

في اليوم التالي جاء للحمام يلبس لباساً غالياً مترفاً، فأكرموه في كل شيء؛ توقير، عناية، صابون، تدليك.. إلخ.

بعد انتهاءه ودعوه بابتسامة طامعة ويد تتوقع أن تستقر بها عشرة دنانير ذهبية، فدس يده في جيبه وأخرج أصغر عملة نحاسية، وضعها في يد أحدهم، وقال له:

هذه جزاء الأمس، والدينار الذهبي الذي أخذتموه بالأمس هو جزاء اليوم.

هذه القصة تمثل لطمة لوعينا؛ خاصة لمن يتعامل مع الأقدار بالمعادلات الخطية ونظرية السهم الموجه، فالاعتقاد بأن الله تعالى

يتاجر مع الإنسان، فيأخذ طاعة ويعطي رزقاً، اعتقاد واهم؛ وهل الله يأخذ؟ أستغفر الله لِغفلة وغُرور الإنسان وضعف وعيه.

لهذا يكون المؤمن أكثر وعياً من غير المؤمن.. المؤمن يتقى الله، يعلم أنه مستور ومرزوق ومرحوم بعمل وبغير عمل، لا تفاجئه الأقدار، ولا يُثَمن ويَزِن الأفعال والرسوم والصور.

المؤمن يتقى الله في كل حال، يشكر الله على كل عطاء ومنع، لا يَغُره توهمه بالعطاء.



23. العسل المر

مسلسل قديم في بدايات التليفزيون المصري، يحكي عن الأم التي لديها سر خاص، جعلها تقيم سوراً عالياً حول الفيلا التي تملكها، فحرمت ابنتها الوحيدة من كل ما هو مذكر، قامت بالاستعانة بخادمات ليس لهن مهمة سوى وصف الرجال بأبشع الصور الحسية والمعنوية.

عندما اهتمت الفتاة بقطط حديثة الولادة، قامت الأم بخنقهم في السر؛ حتى لا تتطور مشاعر الرغبة في الأمومة عند ابنتها.

تلح البنت بشدة على أمها أن تريها رجلاً، تجتهد الأم في جلب رجل عجوز شديد الدمامة والقبح، فتلتقي البنت برجل لأول مرة في حياتها ، يرحل الرجل وقد شعرت الأم بأنها نجحت في تجسيد الصورة التي عملت على نحتها في فكر ووجدان ابنتها، ثم تسألها:

-: ألم أقل لك أن الرجال وحوش؟

=: يا أمي.. لقد وجدتني أمتلئ رغبة طاغية في احتضانه وتقبيله.

عشرون عاما من التشويه، التحامل، حشو الخيال بصورة الرجل الديناصور في صورته، والوغد في أفعاله، ظنت خلالها الأم أنها

انتهت من نحت الصورة في ذهن ابنتها، كل هذا طار في الهواء في لحظات قليلة تجسدت فيها لمسة من الحقيقة.

نعم هي حقيقة مشوهة لرجل عجوز وقبيح، لكن به بقية من الحقيقة، أنه رجل.

والفكرة الملهمة في تلك القصة هي الإعلام، حين تجد العالم بقضه وقضيضه لا يتحدث إلا عن موضوع واحد.. عن فكرة واحدة.. عن هدف واحد.. الإسلام والإرهاب.. فهو حديث الصباح والمساء.

في البرامج الرياضية والسياسية والدينية والموسيقية وحتى برامج فنون الطهي.

الكل يتكلم بلسان واحد ونشيد فريد.. الإسلام والإرهاب.

هذه الطريقة لن تفلح وسوف يأتي يوم تتحدث الدنيا كلها نشيداً واحداً هو:

الإسلام والسلام.. والحرية.. والعدل.. والرحمة.. والإنسانية.. والحياة.

سوف يذهل أباطرة الإعلام وشيوخ التطرف والظلام مثلما ذُهلت الأم، عندما يحتضن الناس دينهم الحقيقي ويزيلوا عنه التنكر والتشويه، فيحصل عكس المراد ويضل سعي الأشرار، ويرشد الناس.

عندما ننقي الإسلام من الشوائب الفكرية التي علقت به ونجعله ديناً كالماء، سوف يتلقفه العالم مثلما تلقفته تلك الفتاة المحرومة.



24. تذكر أني أحبك

يَخْتَلف المُجْتمع الأوربي كثيراً عن مجتمعنا العَربي في سَلْبياته وإيجابياته.

من أكثر ما يَلفت انتباهي في الأفلام والمُسلسلات الأجْنَبية، العِلاقة بين الآباء والأبناء.

الوسيلة الوحيدة للتفاهم، هي الحوار بلا مَلل وبلا نِهاية، حوارات ساخنة، وكثيراً ما تكون متوترة، وربما ضَغَطَ أحد الوالدين على الأبناء بتوقيع عُقوبة أو حِرمان من شيء مُحبب.

لكن ما يلفت انتباهي ويُدْهشني؛ كلمة تتكرر على لسان الوالدين لأبنائهم، سواء في اللحظات الساخِنة التي يَسْتَخدم الأب فيها سُلطته على الأبناء، أو في لحظات التعامل اليومية.

الكلمة هي «تذكر أني أحبك» هذه هي أكثر الكلمات التي تُقال من الوالدين لأبنائهم، نِقاش ساخن أو عِقاب يوقع أو رأي يُؤلم، كل هذا يُنْهيه الأب أو الأم بهذه الجملة «تذكر أني أحبك».

تأخذ الأم أولادها بالسيارة لمدرستهم، وكلما يَهبط ولد منهم تقول له:

«تذكر أني أحبك».

ما السر في هذه الجملة المتكررة؟

السر هو أن سَرَيان الحياة يُثير غباراً دائماً يُغَطي على المشاعر، والعلاقة بين الوالدين والأبناء، تدور في كل لحظة بين احتكاك، وتوجيه، واستجابة، ومُمَانعة.

وغبار المشاعر الذي يَتَولد من ذلك النشاط المتواصل، قد يَتَراكم فيُحدث تَبدلاً في فَهم المشاعر وربما إساءة فهمها، فيظن الأولاد أن الحب كُرهُ أو تَحامل، والذي يَمنع أو يلطف من هذا الظن أو الإحساس الخاطئ هو تكرار التأكيد والتذكير بتلك الكلمة؛

«تذكر أني أحبك»

لهذا أراها كلمة متحضرة، وواعية، ونحتاجها بيننا في علاقاتنا بأبنائنا، وخاصة أن الآباء العرب لديهم سُلطة خَشنة ودائمة التطبيق على أبنائهم.

ولهذا تعد حاجتنا لتلطيف تلك الخشونة أكثر من حاجة الإبن الأوربي.



25. عباءة الدين

في فيلم «ضد الحكومة»، يلتقي محامي الأطفال- في ضحايا حادثة اصطدام الحافلة مع القطار- مع محامي الحكومة الشهير؛ والذي يعتكف بين المغرب والعشاء بأحد المساجد الشهيرة مرتدياً العباءة، وممسكاً بالسبحة، ويتناول الشاي باليِنسون، الذي يجلي الصدر ويفتح الشرايين.

يبدأ الحوار باسم المبادئ والقيم، في محاولة لاستمالة عاطفة المحامي الشاب، ولما لا يجد استجابة؛ يخلع محامي الحكومة عباءته ليُخرج من تحتها الوحش المستتر، فيقول له:

- دعنا من هذا الكلام الكبير ولنتكلم بصراحة... مهدداً إياه بالتنكيل به وفضحه، ومتجاهلًا أنه يهدد في ساحة المسجد شابًا يطالب بالعدل الذي هو جوهر الدين.

عندما أنظر إلى محامي الحكومة؛ أجده قد تبنى معادلة تبناها اليوم الكثير من الناس، وهي تسكين الضمير الملتهب ببعض الشعائر والمظاهر الدينية، والتي يسهل بذلها، وفي نفس الوقت تعطي بريقًا

أمام الناس، وتمكنه من الاحتفاظ تحت العباءة بما لم يستطع التغلب عليه من الغرائز والشرور.

في الهيئات التي تتعامل مع الجمهور؛ في مجتمع الموظفين يكون الحديث طوال الوقت عن الدين والأخلاق وفضل سورة البقرة، والأدعية المأثورة لطرد الهم وجلب الرزق، وعن الجواز الشرعي لمقولة وعدم جواز مقولة أخرى، وكما يقول المثل «يفتي في الإبرة ويبتلع المنجل».

عندما تقترب من هذا المجتمع، ترى الافتتان بالمال، والاستئثار بالمكافأت والعلاوات؛ وتوزيعها حسب دوائر النفاق المتراكبة، وحسب قدر التنازل عن المبادئ.

ترى الكذب والإفتراء، ترى المحاباة وتفضيل المصلحة الخاصة على العامة، ترى الحسد والتباغض، ترى.. وترى بلا حدود.

كل هذا يحدث كل يوم وكل لحظة، ومع ذلك يظل محور الحديث، هو نفس الحديث الديني المشتاق للعفو الإلهي والتقرب بالطاعات والأذكار.

لقد تناولنا جُرعة متزايدة من الكلام عن الدين، فأصبح مبتذلًا في أفواهنا ووعينا، ولقد تَغطينا بقماشة ضخمة من عباءة الدين، وجعلناها كوضع ضمادة معقمة على جرح ملوث.

الدين المعاملة.. الدين النصيحة.. الدين جاء لمكارم الأخلاق.

الدين يخبرنا أن الزيادة في الرحمة زيادة في الدين.

ألا وقول الزور... الدين هو العفو... الدين هو السلام.

كل هذه الجواهر لا تصلح كعباءة، ولكنها امتحان الدنيا؛ لهذا يندر أهلها.

الجميع يلهث وراء السؤال السهل، بينما يؤجل السؤال الإجباري إلى آخر الامتحان، والذي ربما ينقضي وقته ويفوت الأوان.

26. انتبه للتجربة الأولى

في فيلم «حب في الزنزانة» يحكي علي الشريف -القاتل المأجور:

- «في يوم قصدتني ولية عايزاني أقتل لها رجل، ماكانش معاها غير عشرة جنيه، ووقتها كنت باخذ في الرأس مائة جنيه، مدت ايدها وبتديني العشرة جنيه، وبتقولي يبقالك، قلت لا حطي فلوسك في جيبك، حرام آخذ منها عشرة جنيه، وداخل عليها عيد، فيسأله عادل إمام:

= وقتلت الرجل مجانا! فأومأ برأسه وهو يأكل بشهية؛

- أي نعم قتلته، فقال له عادل إمام ساخرا وذاهلا:

= أنت شهم بتقدر ظروف الناس

كيف ينحدر الإنسان إلى درجة من الإعتياد، حتى يتساوى ضميره في القتل مع ضمير الحيوان تجاه فريسته وهو يأكلها؟

لو عدنا لأول تجربة قتل له، لوجدنا أنها لا شك مريرة، فالتجربة الأولى للقفز إلى عالم القتل، تجعل من يقتل يستحيل عليه الاحتفاظ بنفسه كما هي، حتى يصبح القتل عنده مثل هش الذبابة من على وجهه، لكنها القفزة الأولى في كل شيء، وليس في القتل فقط.

أول تجربة في القتل في الظلم.. الانتقام.. الكفران.. التحامل.. القذف.. شهادة الزور.. الزنا.. الاستسلام للشهوة.. الهجر.. الشر.

وأول تجربة في العفو.. الود.. التسامح.. سعة الصدر.. العطاء.. الإنفاق.. التقبل.. الشكر.. الإيثار.. الحنان.. الخير.

التجربة الأولي هي باب الدخول لدنيا وعالم آخر، يندر أن تستطيع التراجع عنه ولو بخطوة، كلها خطوات للأمام، يتلاشى معها أمل العودة.

الفرق في التجربتين، الخير والشر؛

أن الشر منحدر هابط، لا يحتاج جهداً ولا جهاداً للنزول؛ فيستمر الانحدار إلى حيث لا قاع.

وأن الخير أشبه بالصعود.. فيحتاج قدراً من الجهد، خاصة في الخطوات الأولى، بعد خطوات يصبح الطريق مستوياً فيسهل السير وتتولد وتنمو التلقائية في الخير.

الإشكالية في تجربة الشر، أنه مثل مصاصي الدماء، يهجم على الفريسة البريئة ويمتص دمها؛ فتتحول في لحظة لمصاص دماء جديد، فالقاتل هو المقتول؛ لأنه يغتال الخير في نفسه.

التجربة الأولى هي التذوق الأول.. السكرة الأولى.

هذا هو جواب السؤال عن حالة القاتل الأجير، وكيف توحش؟

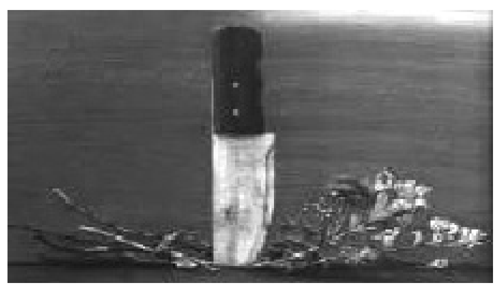
القتل درجات.. ليس كله دماء ولحم مقطع، فهناك كرامة تنزف، وقلب ينزف، وحلم ينزف، وحياة معتقلة تنزف أيامها، فيكون النزيف في كل مكان، وفي كل جسد تصبح الدماء بحوراً، لأن تلك الشرور قتلاً أو شروعاً في قتل معنوي.. وربما تسببت في يأس الضحية فتقتل فعلياً.

بهذا المفهوم نجد أن الكثير منا قاتل أو يحمل نية قاتل أو يمارس أدوات القاتل.

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾[المائدة: 32].

فكأنما قتل الناس جميعا.. فكأنما أحيا الناس جميعا.

لا أبلغ من هذا الكلام ولا أدق ولا أحكم... انتبه للتجربة الأولى.



27. إنهم لا يتجملون!

كان في حارتنا لص محدث، يعيش بيننا كواحد منا.. نعرف أنه لص، لكنه لا يسرق من حارتنا.

كانت تلك المعرفة كافية لانحناء رأسه وتدليها خجلاً، فهو لا يجرؤ أن يرفع عينيه بيننا، فكان يتنازل، ويتغاضى، ويهادن.. يسرق في الخفاء، وإن رآه أحد، يستحلفه أن يكتم عنه، ويحلف بأغلظ الأيمان أنها آخر مرة، ويُقسِم أنه لجأ لذلك بسبب الحاجة؛ فيكُف الشاهد عنه؛ أو يقتسم الغنيمة معه عندما تكون السرقة كبيرة، فلابد من أن تمر السرقة من تحت أعين البعض، فيرضيهم جميعاً من الفتات، كل حسب قدره، فلا يأكل اللقمة كلها وحده.

ظل سنوات طويلة على هذا الحال، خطره كبير ولكن طَحنه بلا صوت يستفز الناس، ولا يكف عن التجمل.

ثم كبر ونفش ريشه، ونَبَتَ مع ريشه وهم الكرامة والسلطة والسطوة، فماله الحرام وسلطته الغاشمة ترهب وتسكت، فما الداعي للتجمل والترضية والتخفي؟ فصار يسرق كل شيء.. صار لا يترك من المال المنهوب شيئاً لغيره، صار لا يُرضى أحداً بشيء

منه.. صار يتفاخر بلصوصيته.. صار يتحدى أن يلحق به أحد في قصة كفاحه ونجاحه وعصاميته.

هذا هو لِص الأمس المتجمل والمتخفي والذي يتسول رضا الناس؛ ولهذا طال عهده وطال ستره وطال شره.

وهذا لص اليوم النازع لقِناعه، الجهور الفخور بفجره، المتكبر والمتعالي على ضحاياه وأهله..

لصوص اليوم لا مستقبل لهم ولا غد..

إنهم لا يتجملون!!

ومن لا يتجمل عارٍ، والعاري تصيبه نزلة برد قاتلة، أو تنحت الرياح من جسده وتقشر جلده، أو تناله عين الحسود كالرصاص الخارق الحارق... اللهم آمين.

لصوص اليوم في أمان تام، وكما قال الشاعر الأندلسي «أبو البقاء الرندي»:

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ فَلَا يُغَرَّ بِطِيبِ العَيْشِ إِنْسَانُ



28. شنب النجعاوي

كان سيد القرية «النجعاوي الكبير» يفخر كثيراً بشنبه، ويعجبه كثيراً التملق له بمدحه.

كلما رأى رجلًا في القرية، لا ينصت له، بل يحدق في شنبه، لأنه لا يستطيع أن يتحمل أي شنب ينافس شنبه السامي، فكلما استشعر شبح المنافسة بين شنبه وشنب أحد في القرية؛ يأمر بمسرور الحلاق، فيسرع بحلق نصف الشنب المنافس، فأصبحت قرية أنصاف الأشناب.

وبمرور الأيام لم يبق في القرية شنب كامل سوى شنب النجعاوي الكبير.. ثم حدث أن اعتدت قرية مجاورة قوية على النجعاوي، فحلقت نصف شاربه.

غضب كل أهل قرية النجعاوي لكرامة كبيرهم، وهموا بحشد القوات والاندفاع للإنتقام لشنب سيدهم وكبيرهم، لكن مع الأسف، كلما أحمر وجه أحدهم غضباً لسيده، يضع أصابعه على فمه، ويتحسس نصف شنبه المحلوق، فيسرع إلى الفيس ويعلن مقاطعته لإسرائيل.

فأخبرهم رجل رشيد أن هذا ليس الطريق الصحيح، ليربي أولا كل منا شنبه، ولا يسمح لأحد بعد اليوم بأن يحلقه.

المحتويات

مقدمة 5

1. الإنسان بين الفأر والصرصار 7

2 . اللقاء الثاني 11

3 . قليل من التعاطف 17

4. عقولنا غسيل ومكوة 22

5 . موعظة طائشة 27

6 . قناع التحامل 32

7. الظالم والمظلوم 36

8. المصري أفندي مكرّماً ومهاناً 40

9. اللعبة 45

10. المشي على أربع 51

11 . خالي البيه 55

12 . وجه بلا ملامح 59

13 . دين كالماء 67

14 . خاتم الأخلاق 73

15 . شخص استثنائي 78

16 . لستُ أنا 85

17 . الخشوع 91

18 . الأصل في الأشياء الإباحة 94

19 . عضة كلب 96

20 . ثقب الإله 98

21 . خلي بالك 100

22 . جُحا لمن يَعي 103

23 . العسل المر 105

24 . تذكر أني أحبك 108

25. عباءة الدين 110

26. انتبه للتجربة الأولى 113

27. إنهم لا يتجملون! 116

28. شنب النجعاوي 118

فيروس الدروشة



تمنيت لو أن الأفكار مثـل الجسـد البشري
لا يمكن تجاهل تنظيفه مما يفرزه أو يلصق به
وإن أهملت نظافته يطلق صفارات إنذار
عنيـفة ومتعددة ولا تطـاق، تجعلك تهرع
للاغتسال بـلا تردد.. والأفكار أيضـا تفرز
أفكارا مميـتة وميـتة، ويلتصق بها أفكار
ظـالمة وجـاهلة، تتراكم ولكن في صمت
وخفاء.

تلك الأفكار هي سر نكد الحياة وضلالها
ومن لم ينتبه لغسل أفكاره يصبح درويشا.

وكلنا لا يخـلو من ميكروبات درويشية
تسكنه.





فيروس الدروشة
دار النخبة